كتاب

نـــــور الـهدايـــــــة

تأليف

العارف بالله تعالى السيد

محمد الرملى

مطبعة البرلمان 7 شارع الترجمان أول شارع محمد على (العتبة) مصر

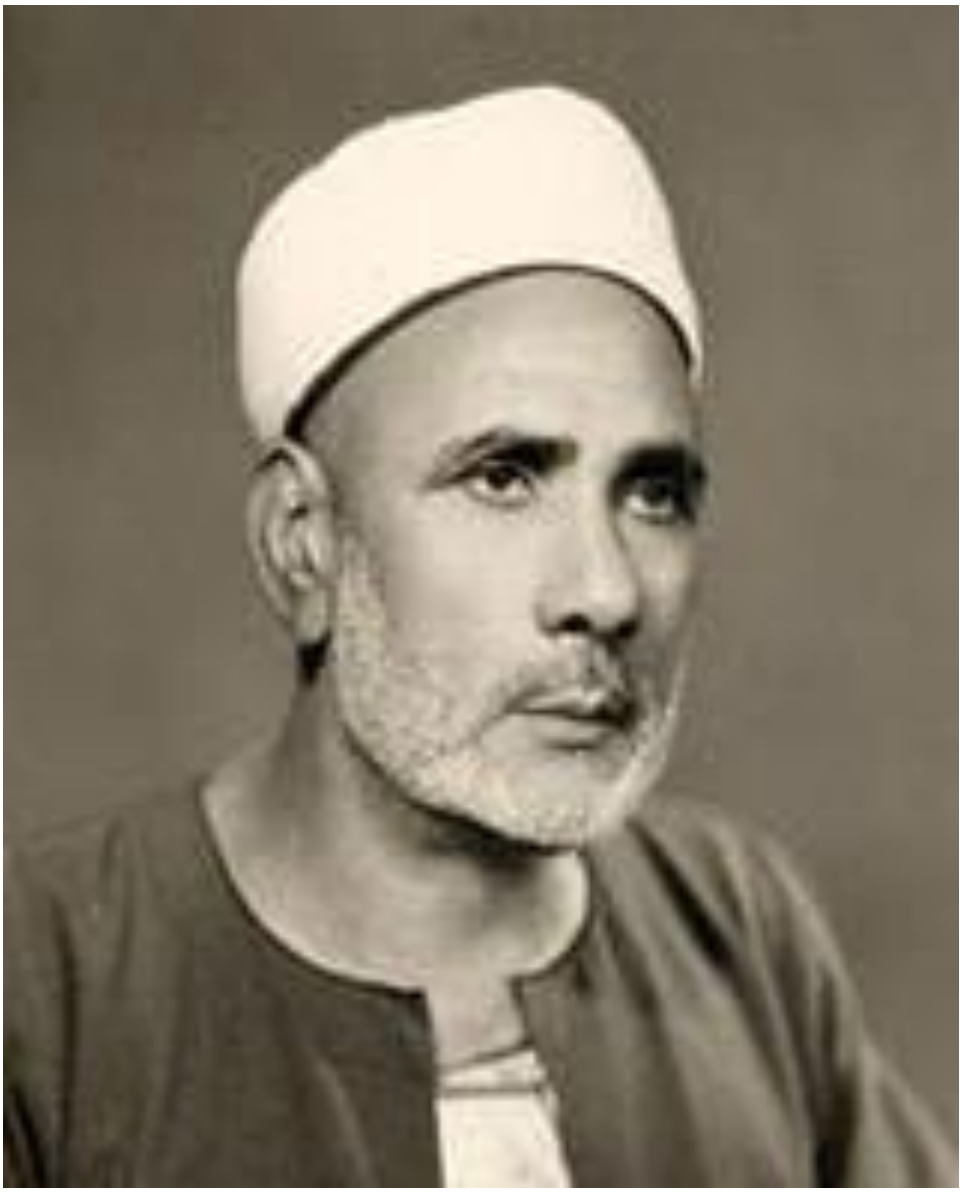

فضيلة الشيخ محمد أحمد الطاهر الحامدي

فضيلة العارف بالله الشيخ محمد أحمد الرملي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلـــي الله تعالي وسلم علي سيدنا ومـــــولانا محمـد وعلي آله وصحبه أجمعين - وبعد - فهذه كلمات موجزة قصدنا بها بيان حقيقة التصوف و الطريق و كيف نشأت ليكـــون الأخوان علي بصيرة من أمرهم و جلية في سيرهم و الله تعالي ولي الهداية والتوفيق.

مقدمة

اعلموا إخواني أيدني اللـــــه وإيـــــاكم بالتوفيق وأمدنا بمدد الطريق ونور التحقيق ان هذه الطريقـــة الخلوتيـــة (وكذلك سائـــــر الطرق الصوفيـة الحقة) التـــي نتشبث بأهدابها وننتمي بالمحبـــــة لأصحابهـا طريقـة نظيفة قويمة وخطـة راشدة حكيمة تهذب النفس وتقـــــوم الخلق وتربـي الملكات الفاضلة وتعـــــود الانسان علي الصدق والصبر والعفة وقوة الإرادة والمثابـرة علـــي العمل واحتمال الشدائد والمكاره وتجعله قـــــوى الصلة بمولاه مغتبطا بمحبته وتقواه فهي المدرسة العالية بل الكلية الجامعة التي تكون الأبطال وتخرج الفحول من الرجال .وناهيك بطريقة حبلها برسول اللـــه صلي اللـــــه عليه و سلم موصول وبناؤها مشيد علـــي المعقول والمنقول مدارها علـــي صدق المعاملة مع اللـــه سبحانه وتعالي في كل حال ورأس مالها الإخلاص فـــــــي الأقوال والأفعال ونهايتها يقظة الضمير وحياة القلب المسماة في لسان القوم بحضرة الشهود وهو مهام الإحسان الذي فسره رسول الله صلي الله عليه وسلم بقوله " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك "

وانظر كيف سلكها الامام ابن السبكي في المسائل الاعتقادية حيث يقول فـــي أواخر كتابـــه جمع الجوامع الذي طبقت شهرته الآفاق : وتعتقد أن خير الأمة بعد نبيها محمـد صلي اللـــــه عليه وسلم أبو بكر خليفته فعمر فعثمان فعلي أمـــراء المؤمنين رضي اللـــه عنهم أجمعين وبراءة عائشة من كل ما قذفت بـه ونمسك عما جرى بين الصحابة ونرى الكل مأجورين وأن الشافعي ومالكا وأبا حنيفة والسفيانين وأحمد والأوزاعي واسحاق و داود و سائر أئمة المسلمين علـــــــي هدى من ربهم و أن أبا الحسن الأشعري إمام في السنة مقدم وأن طريق الجنيد وصحبه طريق مقوّم : فهي طريقة خالية من البدع بعيدة عن التكلف لا إفراط فيها ولا تفريط حصن اللـــــه الحصين وحرزه المكين مـــن دخلها كان آمنا مـــن سوء الاعتقاد وفساد الأعمال فهي أمثل الطرق حالا وأوثقها بحضرة الرسول صلي الله عليه وسلم اتصالا الإيمان بهـــا ولاية صغري والدخول فيها سعادة كبرى والاعتراض عليها وإنكار كونها من الدين لا يصدر إلا من جاهل بحقيقتها أو جاهل بحقيقة الدين .

على نفسك فليبك من ضاع عمره وليس له منها نصيب ولا سهم

أقل ما يظفر به السالك فيها و لـــو بمجرد تلقى الأوراد مع المحبة وحسن الاعتقاد ارتباط قلبه بقلوب أشياخه المرتبطة به صلي الله عليه وسلم الذى هو إمام الكل وقدوة الجميع [1]

1- (ابن تيمية)

(والذى لا يمكن للخلق أن يصلـــوا ما بينهم وبين خالقهم جل ذكره إلا بواسطته وليس لأحد طريق غيره ولا سبب سواه وقد أقامه الله تعالي مقام نفسه فـــي أمره ونهيه وإخباره وبيانه) بعثه اللــه تعالي رحمة للعالمين وهاديا للخلق أجمعين فبلغ الرسالة وأدى الأمانة و نصح الأمة شيد عقائد الدين ومهد قواعده وميز فرائضــه وسننه وآدابـــه وفصل الحلال والحرام وبين منــاهج الأعمال والأخلاق أتم بيان حتـــي تركنا علي شريعة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك كما ورد في الحديث الشريف . وقد كان صلي الله عليه وسلم في نفسه مثلا أعلي في المعرفة واليقين والمحبة والتوكل والورع والزهد والعفة والنزاهة والصبر والحلم والشجاعة والكرم ... الخ .

مع التخلي التام عـــــــن جميع الحظوظ و الشهوات و الاجتهاد في عبادة اللـــــه تعالــى و ذكره اجتهادا منقطع النظير خصه اللـــــه تعالى بالكمال المطلق فـــــي كل مجال علماً و عملا و خلقا و حالا و حسبك أنـــه كان مشرفا علي نظامي الدين و الدنيا معا جامعا بيـن الاقبال علي اللــه تعالى و العناية بشئون الخلق جميعا و الجمع بين هــذا و ذاك مما لا يطاق لبشر سواه صلوات اللـــه وسلامه عليه

وقد سار أصحابه الكرام علـــي نهجه القويم في سياسة الأمة و القيام بوظائف العبودية وكانوا أقرب الناس شبها به ومحاكاة لأفعاله وأخلاقه ثم حذا التابعون و تابعوهم بإحسان في ذلك حذوهم و إن لم يبلغوا شأوهم لما امتاز به الأصحاب من شرف المشافهة لحضرة الرسول صلي الله عليه وسلم و مشاهدة أنواره و ما احسن قول عبدالله

ابن مسعود رضى الله عنه و عنهم أجمعين في وصفهم " كانوا أفضل هذه الأئمة أبرها قلوبا وأعمقها علماً و أقلها تكلفا اختارهم الله لنبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم و اتبعوهم علي أثرهم و تمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم " فلما انسلخت هـذه القرون الثلاثة التي شهد لها النبى صلي الله عليه وسلم بأنها خير القرون من بعده (خير القرون قرنـــى ثم الذين يلونهم ثـم الذين يلونهم ثـم الذين يلونهم) بل فـــي أثناء القرن الثاني و الثالث أطلت الفتن بقرونها وظهرت بـــوادر البدع و الأهواء و أخذ الناس يتزحزحون عن الهدى النبوى شيئاً فشيئاً

فاقتضى ذلك أهل السنة والجماعة أن يتخصصوا تخصصاً طبيعيا كل فيما هـو مقسوم لـه و مستعد بفطرته اليه فافترقوا كما قال الشيخ الدرديـر في أواخر شرح الخريدة . ثلاث فرق فـــــرقة نصبت نفسها لبيان العقائد الدينية والمناضلة عنها بأدلة العقل والنقل حتي لا يلبس المبتدعة علي الضعفاء أمر دينهم و يدخلوا فيه ما ليس منه و هم الذين حرر أصولهم وحمل لواء مذهبهم ورأس اجتماعتهم الامامـان الجليلان أبو موسى الأشعري و أبـــو منصور الماتوريدى و من تبعهما و فرقة نصبت نفسها لبيان الأحكام العملية من عبادات ومعاملات وهم أئمة الفقه أبو حنيفة ومالك والشافعى وابن حنبل وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين وإن لم يستقر من المذاهب سوى مذاهب هؤلاء الأربعة ،

وفرقة نصبت نفسها للاشتعال بالمجاهدة والعمل وبيان مكايد الشيطان ودسائس النفس الخفية حتى يتسنى لطلاب الحق ومريدى حرث الآخرة أن يحفظوا أعمالهم من شوائب العلل

ويحرسوا قلوبهم من طوارق الغفلات ويسيروا علي مثل المنهاج العملى والخلقى الذين كان عليه الرسول صلي اللـــه عليه و سلم و أصحابه الكرام و هؤلاء هم الامام أبو القاسم الجنيد و أتباعه الملقبون بالصوفية وأهـــل الطريق ومع كون الشريعة كلها ناطقة بأدلة مذهبهم ومن تصفحها مع التأمل والاستنارة بنور اللـــه تعالى ظهر له ذلك كما قال القسطلاني في شرح البخاري

اختصاص طريقتهم بالتأليف إلا أنهم لما رأوا ولـــم تكن هناك حاجة إلى غيرهم مـــن العلماء كتبوا في الفقه و الأصـــــــول و الحديث و التفسير والتوحيد .... الخ ، ورأوا كثيـــرا مـــــن أهـــل الجمود ينكـــرون عليهم مجاهداتهم ويستغربون أحوالهم كتب رجال منهم في هذه الطريقة وبيان أصولها وآدابها و مقاماتها مقتبسين من نصوص الكتاب والسنة مستدلين بشواهدها .

حقيقة الطريق و صفات المريدين

(فصل) فثبت أن طريق الصوفية المحققين أصلها منهاج رسول الله صلي الله عليه وسلم العملى و الخلقى فهى طريقه عليه الصلاة والسلام و طريق خلفائه الراشدين و أصحابه الهادين المهتدين بل هي طريق سائر النبيين صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين و شعار الصديقين و دأب العلماء الراسخين كيف لا و هى العبادة المقصودة من نشأة الأكوان و خلق الإنس و الجان قال تعالى (و ما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون) و قال تعالى (و ما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) و كفى أن الله تعالى قد افتتح بهذه الطريقة الفرقان و ذكرها في أم القرآن (إياك نعبد و إياك نستعين) فإن جميع ما قرره الصوفية وندبوا إليه أنفسهم وأتباعهم يدور على هذين الأصلين إخلاص العبادة لله و الاستعانة به دون سواه وهذا معنى قول الامام الغزالي

في تعريف التصوف (و التصوف هو الطريق) إنه تجريد القلب لله و احتقار ما سواه أى اعتقاد أنه لا ينفع و لا يضر وقال شيخنا أن طريق القوم هى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و قال مرة أخرى هي العمل بالعلم و قال الشيخ الدردير فى التحفة إن طريق القوم هى تقوى الله تعالى التي أمرنا بها في كتابه العزيز على لسان نبيه ﷺ و رتب عليه سعادة الدارين و حصول المعارف و الأسرار الإلهية و التكفل بالرزق من غير مشقة و حكم سبحانه أن كل من تمسك بها أكثر من غيره كان عند الله أكرم

قال تعالى(و اتقوا اللـــه و يعلمكم اللـــه) و قال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللـــــه وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به و يغفر لكم) و قال (و من يتق اللـــــه يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب و من يتوكل على الله فهو حسبه)

و قال (إن أكرمكم عند اللـــــــه أتقاكم) و انظر إلى قوله تعالى (أتقاكم) و لم يقل أعلمكم و لا أنسبكم و لا أصحبكم و لا أجمعكم أي (أكثركم صحبة للأخيار أو جمعا للمال) إلى غير ذلك .. و تقوى الله تعالى بعد تحقيق الإيمان لها مرتبتان

الأولى توقى ما يوجب الإثـــم و هذا مقام العوام وبداية التصـــوف ويتحقق بفعل المأمورات كالصلاة و الصوم و الزكاة و الحج و أكـــــــل الحلال و التوبة و أداة الحقوق الواجبة للزوجـــة و العيال و غيرهم و تـــرك المحرمات كالزنا و القتل و شرب الخمر و أكل الربا و الغيبـــة و النميمة و الكذب و الحسد و الكبر و العجب و الرياء و السخط على المقادير و نحو ذلك-

و الثانية توقى النقائص مطلقا و هـــذا مقام الخواص وهو الجديـــر باسم التصوف والطريق ولا يتم إلا بالمجاهدة الصادقة والتخلق بالأخلاق الفاضلة من المراقبة و الإخلاص و الزهد فـــى الدنيا و التجرد عن الحظوظ و الورع و الصبر و الثقة باللـــه تعالى و ملازمة الأدب ظاهرا و باطنا و لهذا قالوا إن من صفات المريدين التحبب إلى اللـــــــه بالنوافل والإخلاص فـــي نصيحة الأمة والأنس إلى الخلوة والصبر علـــــي مقاساة الأحكام والإتيان بأوامر اللـــه تعالى و الحياء من نظره و بذل المجهود في محبته

و التعرض لكل سبب يوصل اليــه تعالي و القناعة بالخمول و عدم القرار بالقلب إلي أن يصل إلى الرب تعالـــى وقالـــوا من شأن المريد أن يكون نومــه غلبة عليه و أكله فاقة و كلامه ضرورة

و قالـــوا من أشد شىء علي المريدين معاشرة الأضداد و كان شيخنا رضى اللـــــه عنه يقول المريــد الصادق كالجندى فـــــى ساحة القتال يكون دائما على أهبة الاستعداد

و هذا النوع من التصوف هو الذى قال فيه الشيخ الدرديــر إن طريق القوم عزيزة لا يهتدى فيها (اى لا يثبت عليها) إلا المختار و اليه يشير قول الجنيد (التصوف الخروج مـــن كل خلق ردئ و الدخول في كل خلق سنيّ و قول من قال التصوف خلق فمن زاد عليك فى الخلق فقد زاد عليك في التصوف

قال رُوَ يم مــن مشايخ هذه الطريقــة الأجلاء كـــــــــل الخلق قعدوا علي الرسوم و قعدت هـــذه الطائفة علـــــي الحقائق و طالب الخلق أنفسهم بظواهر الشرع و هــم طالبوا أنفسهم بحقيقته و مداومة الصدق يعنـــي أن الناس قد صرفوا همهم و بذلوا جهدهم لمراعاة الظواهر و المحافظة على رسوم العبادات و المعاملات و اشكالهما فقط

و لكـــن الصوفيـــــة طالبوا أنفسهم بحقائقها و لبابها و ثمراتها المقصودة منها و لزوم الصدق مع اللـــه تعالى فى عموم الأحوال و حقيقة الصدق لا تتوفر الا بعد الزهد فـــــــــى الدنيا و ترك الحظوظ الشهوات

و قد قيل لحاتم على ما بنيت أمرك فقال على أربع

علمت أن لى ربا يرانى فى كل مكان فأنا أستحـــى منه و علمت أن لـــى رزقا لا يجاوزنى إلى غيرى كما لا يجاوز رزق غيرى الى فوثقت به و علمت أن على فرضاً لا يؤديـــــه أحد غيرى فأنا مشغول به و علمت أن لى أجلا يبادرنى فأنا أبادره .

يعنى بدوام التأهب و الاستعداد للموت و قال سهل بن عبدالله التسترى أصولنا سنة كتاب اللــه وسنة رسول اللــه ﷺ و أكل الحلال و التوبة و أداء الحقوق و الكف عن أذى الخلق

و قال الجريرى مدار هذا الأمـــر (التصوف) علـــــى فصلين أن تلزم قلبك المراقبة و أن يكون العلم علـــــى ظاهرك قائما بأن تكون جميع حركاتك و سكناتك موزونة بالشرع

و عن أبى جعفر أنـــــه قال من لم يزن أقواله و أفعاله و أحواله بالكتاب والسنة و لم يتهم خواطره فلا تعدوه فـــــى ديوان الرجال .

و قال الحسين النورى لبعض أصحابه " من رأيته يدعى مع الله تعالى حالة تخرجه عن حد علم الشرع فلا تقربنه و من رأيته يدعى حالة لا يدل عليها دليل و لا يشهد لها حفظ ظاهر فاتهمه على دينه " .

فبان أن الطريق و التصوف الخاص تصفية القلب و القالب معاً و مراعاة أحكام الشريعة ظاهراً و باطناً و اتباع الأحسن و طلب الكمـال علماً و عملا و خلقاً و حالا لا الاقتصار علي مجرد الظواهر والرسوم كما هـــــى شأن العوام و تحقيق ذلك أن اللــه تعالى مراعاة لأحوال عباده في القوة و الضعف و نظراً لاختلاف طبائعهم و استعداداتهم و وظائفهم فـــى الحياة قد جعل شرائع الدين من عبادات و أخلاق و أحوال على مرتبتين

مرتبة جواز لا يصح تجاوزها و النزول عنها بحال لأنها في متناول الكل و تحت قدرة الجميع و مرتبة كمال يتنافس فيها المتنافســـــــون و يتسابق اليها المتسابقون وهي في نفسها درجات متفاوتة بعضها أعلى من بعض و قد أشار لذلك رسول الله ﷺ فى حديث جبريل المخرج فى الصحيحين فقد بين فيه رسول الله ﷺ

حقيقة الايمان بقوله " أن تؤمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و تؤمن بالقدر خيره و شره حلوه و مره وهذا هـــــو الأساس و الأصل و بين حقيقة الاسلام بأن تقيم الصلاة و تؤتي الزكاة و تصوم رمضان و تحج البيت ان استطعت إلى ذلك سبيلا يعنى مع ترك الفواحش و المحرمات و هــذا حال عامة المسلمين

وفسر الاحسان بأن تعبد اللـــــــه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وهذا شأن الكمل و الخواص و هـــم الصوفية المحققون و هذا معنى قول الشيخ زروق فـى قواعد التصوف أن أصل التصوف مقام الاحسان ومعلوم بالطبع أنه لا إحسان الا بعد إيمان وإسلام

و قد كان رسول اللـه ﷺ يراعى أحوال الناس و يعطى كلا ما يناسبه جاءه مرة أعرابى فقال يا رسول اللـــــــــــه دلنى على عمل يدخلنى الجنة ويبعدنى عن النار فقال ﷺ تعبد اللـــــــه ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة و تؤدى الزكاة المفروضة و تصوم رمضان قال فهل على غيرها قال إلا أن تطوع فقال و الله لا أزيد على هذا و لا أنقص فلما ولى قال صلى الله عليه وسلم مـــــن سره أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا و الحديث فى البخارى بألفاظ مختلفة

فانظر كيف دل رسول الله ﷺ هذا الاعرابى على مجرد الفرائض و هى مرتبة الجواز و لم يأمره بصلاة الضحى و لا بقيام الليل و لا بغير ذلك من النوافل و الرغائب مع أنه لم يكتف من عبدالله بن عمر رضى الله عنهما بمثل ذلك بل حثه على قيام الليل بقوله " إن عبدالله رجل صالح لو كان يقوم الليل "

و من ثم لـم يترك ابن عمر بعد ذلك قيام الليل حتى مات و ما ذاك إلا أنه ﷺ أنس فى ابن عمر قوة الحال وكمال الاستعداد و التفرغ للعبادة بخلاف الاعرابى المذكور هذا مثال التفاوت فى العبادة ..

وأما بالنسبة للأخلاق فقد قال الله تعالى (و جزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى وأ صلح فأجره على الله) و هذه الآية الكريمة فيها المرتبتان

مرتبة الجواز و هى جزاء سيئة سيئة مثلها

و مرتبة الكمال و هى العفو و الإصلاح و هى التى كان رسول الله صلى الله عليه و سلم متصفا بها بل كان فى أعلـــى درجاتها و أقصى غاياتها .و فى أسباب النزول أن مسطح بن أثاثة لما خاض فى شأن عائشة الصديقية مع من خاضوا فى قصة الإفك شق ذلك على أبى بكر رضى الله عنه وعز عليه أن يتكلم فى ابنته أم المؤمنين وهو قريبه وكان ينفق عليه من ماله فأقسم أن لا يجرى عليه شيئا مـــــن النفقة بعد اليوم مجازاة له ببعض ما يستحق و لكن هذه المرتبة و هى مرتبة الجواز و إن صلحت لغير أبــى بكر فإنها لا تصلح لمقام هذا الصديـــــق الأكبر صاحب المختار و رفيقه فى الغار الذى لا ينبغى له إلا أن يكون على قدم صاحبه صلوات الله و سلامه عليه من الأخذ بالكمال و هو إيثار العفو و الصفح عن المسئ مهما يكن جرمه

لذلك عاتبه الله تعالى بقوله (ولا يأتل أولوا الفضل منكم و السعة أن يؤتوا أولى القربى و المساكين و المهاجرين فى سبيل الله و ليعفوا و ليصفحوا) وأما بالنسبة للأحوال والمقامات

فمما يدل على تفاوتها قوله صلى اللـــه عليه وسلم فى تفسير الإحسان المتقدم " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" فقد جمعت هذه العبارة الشريفة مقامى المشاهدة و المراقبة الأولى أن تعبد الله كأنك تراه و هى أتم و أكمل و الثانية أن تعبده مستحضراً أنـــه يراك و هى أدنى من الأولى إلا أنها فـــــى حيز الكمال ونظير هذا مـــا روى أن عمر بن الخطاب كتب إلى أبى موسى الأشعرى رضـــى الله عنهما يقول " إذا استطعت أن تعامل الله تعالى بالرضا فارض و إلا فعليك بالصبر فمعاملة الله تعالى بالرضا و هو ابتهاج القلب و سروره بما يجريه عــز و جــل على العبد و يقسمه له حلواً كان أو مراً هى مرتبة الكمال فمن استطاعها فليتحقق بها و إلا فدونه مرتبة الجواز و هى مقام الصبر الذى هــــــو عبارة عن ترك الاعتراض على المقادير و إن أحس بالبلاء و كره ذلك بطبعه ...

فبان لك أن العبادات والأخلاق و الأحوال على مراتب ودرجات متفاوتة و أن التصوف هو الأخذ بالأحسن و رعاية الظاهر و الباطن معا و طلب الكمال فى كـــل شئ و هذا معنى قولهم . الصوفى إذا استقبله حالان أو خلقان كان مع أحسنهما

و قد شبهوه بالعناصر الأربعة التـــــى قامت بها الموجودات و هى الهواء و التراب و الماء و النار- فهو كالهواء فى رفع الهمة و علو القدر و كالتراب أى الأرض فى الدنو و التواضع و السهولة يناله البر و الفاجر و الصغير و الكبير – كما أن الأرض يطأها كل هؤلاء

و كالماء فـــــى الارواء و إزالة العطش و حرارة التعب الناشئة عن وجود الحجاب و كالنار فـــى إحراق الأوصاف الخبيثة و إشعال مصابيح القلوب فالصوفى كلية العالم يصفو به كل كدر و لا يكدر صفوه شىء قد شغله واحد عن كل شئ و كفاه واحد هم كل شئ .

(فصل) و عمدة هذا الشأن على تحقيق مقام التوبة والزهد فى الدنيا و الاشتغال بذكر الله تعالى الذى هو شعار الطريق و سلاح المريدين و به اذكروا الله كثيراً لعلكم مزيد الإيمان و تحقيق العرفان قال اللـــه تعالى (و تفلحون) و عن أبى موسى الأشعرى قال رسول الله ﷺ (سبق المفردون قالوا يا رسول الله و ما المفردون قال الذاكرون اللـــه كثيراً و الذاكرات)

رواه مسلم

و عنه عن النبي ﷺ (مثل الذى يذكر ربه و الذى لا يذكره مثل الحى و الميت) رواه البخاري

و عن أبى الدرداء قال رسول الله ﷺ (ألا أنبئكم بخير أعمالكم و أزكاها عند مليككم و أرفعها في درجاتكم و خير لكم من إنفاق الذهب و الفضة و خير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم و يضربوا اعناقكم قالوا بلـى قال ذكر الله تعالى) رواه الترمذي و قال الحاكم إسناده صحيح

و عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه (قلت يا رسول الله دلنى على أقرب الطرق إلى الله تعالى و أسهلها على عباده و أفضلها عند اللـه تعالى قال يا على عليك بمداومة ذكر اللـه ذكر اللـه سراً و جهراً فقال على رضى الله عنه كل الناس ذاكرون و إنما أريد أن تخصني بشيء

فقال ﷺ مــه يا على أفضل ما قلت أنا و النبيون من قبلي لا إله إلا اللـه فى كفة لرجحت لا إله إلا الله ثم قال عليه الصلاة و السلام لا تقوم الساعة و على وجه الأرض من يقول الله الله ثم قال على رضى الله عنه كيف أذكر يا رسول الله فقال رسول اللـــه ﷺ غمض عينيك و اسمع منى لا إله إلا الله ثلاث مرات ثم قل أنت لا إله إلا اللــه ثلاث مرات وأنا أسمع ثم رفع صلى الله عليه و سلم رأسه و مد صوته وهو مغمض عينه و قال لا إله إلا اللـــه ثلاث مرات ثم إن عليا رفع رأسه و مد صوته و هو مغمض عينيه و قال لا إله إلا الله ثلاث مرات و النبي ﷺ يسمع) ،

و عن يعلى بن شداد قال حدثنى أبى شداد ابن أوس و عبادة بن الصامت حاضر يصدقه قال كنا عند النبى ﷺ فقال " هل فيكم غريب (يعنى من أهل الكتاب) قلنا لا يا رسول اللـه فأمر بغلق الباب وقال ارفعوا أيديكم و قولوا لا إله إلا اللــه فرفعنا أيدينا ساعة وقلنا لا إله إلا اللــه ثم قال ﷺ اللهــم إنك بعثتني بهذه الكلمات و أمرتني بها و وعدتني عليها الجنــة و إنك لا تخلف الميعاد ثم قال ﷺ أبشروا فإن اللـــه قد غفر لكم " رواه الطبراني و البزار و غيرهما

و هذا أصل سند القوم فى التلقين و عن أبى بكر رضى اللـــه عنه قال سمعت رسول الله ﷺ فى حجة الوداع يقول (إن اللــه عز وجل قد وهب لكم ذنوبكم عند الاستغفار فمن استغفر بنية صادقة غفر له و من قال لا إله إلا الله رجح ميزانه و من صلى على كنت شفيعه يوم القيامة)

رواه أبو داود و النسائي و الحسن ابن أحمد البناء بسند جيد

و هو يؤيد ما عليه أشياخنا من جعل أوراد الطريق الضرورية ثلاثا الصلاة على النبى ﷺ و الاستغفار والتهليل على أن فضل الذكر عموماً و فضل الاستغفار و التهليل و الصلاة على النبي ﷺ على الخصوص معلوم من الدين بالضرورة وعن الإمام الشافعى رضى الله عنه أحب أن يكثر من الصلاة على النبى ﷺ فان الصلاة على النبى صلى الله عليه و سلم و ذكر الله تعالي إيمان بالله و عبادة له

و عن سيدى ابراهيم الدسوقى رضى الله عنه (ما قطع مريد ورده فى يوم من الأيام إلا قطع الله عنه الأمداد فى ذلك اليوم) فان الطريق تحقيق و تصديق وعمل و تنزه و غض بصر و طهارة يد و فرج لسان فإن خالف شيئا من أفعالها رفضته و لو كارها و قد قالوا من لا ورد له لا وارد له و من كثرت أوراده كثرت وارداته

لا رهبانية في التصوف

(فصل) وحيث عرفت مما سبق ان هذه الطريقة طريقة رسول الله ﷺ وطريقة أصحابه و إنها هي الصراط المستقيم و المنهاج القويم فما أظنك بعد ذلك بحاجة لمن ينبهك إلى أنه لا رهبانية في هذه الطريقة كما لا رهبانية في الإسلام

إذ هي الدين الخالص و الإسلام الصحيح و مما قيل في تعريفها أنها كمال الإنسان بالإيمان و الإسلام و الإحسان فليست مذهبا غريبا عن الدين و لا أمرا حادثا فى الملة بل هى طريقة الله تعالى التى لا عوج فيها و لا أمت و لا إفراط ولا تفريط .

لقد اختلفت مذاهب الناس فى هذه الحياة وتباينت مشاربهم (ولا يزالون مختلفون إلا مـــــن رحم ربك ولذلك خلقهم) بين منقادين للغرائز الحيوانية منكبين علـــــي الشهوات البهيمية انكباب الذباب على العسل بل انكباب الكلاب على الجيف لا هم لهم فى هذه الحياة إلا إشباع بطونهم وفروجهم وإلا أن يهيئوا لأنفسهم وسائل الترف و النعيم و هـــــؤلاء أقرب شبها بهم الأنعام السائمة كما قال أميـر المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه و بين جاهلين بحقيقة العبادة و مقصود الشارع مـــن التكليف يتخيلون أن المقصود مـــن العبادة إماتة الصفات البشرية و قطع الشهوات بالكلية حتى أعرض كثير منهم عـــن الاشتغال بأمور الدنيا مرة واحدة و صاروا عالة على الناس في نفقتهم و كسوتهم و قد سول لهم الشيطان تسويلات خبيثة إذ بالغوا فى إعنات أنفسهم بالمجاهدات و الرياضات إلى أن هلك بعضهم من شدة الرياضة و بعضهم فسد عقله و جن ،

و هؤلاء سبب مصيبتهم قلة الفقه و عدم الإلمام بالسنن و الآثار أمـــا أهل هذه الطريقة الصوفية فقد سلكوا الطريق السوى و المنهج القصد ،

و هو ما كان عليه رسول اللـــه ﷺ و أصحابه فلم يتركوا الدنيا بالكلية و لم يقمعوا الشهوات مرة واحدة بل أخذوا من الدنيا قدر حاجتهم وكفايتهم و لم يحرموا زينة اللـــــه التي أخرج لعباده و الطيبات من الرزق و لم يقمعوا من الشهوات إلا ما خرج من طاعة العقل و الشرع فلم يفرطوا و لم يفرطوا و كان بين ذلك قواما

و فى المطية للوالد قال الشعرانـــى فى المنح السنية نقلا عن سيدى على الخواص : لا يبلغ المريد مقام الصدق حتـــى يزيد فى تعظيم أمر الله تعالـــى و نهيه فيفعل المندوب كأنه واجب ويجتنب المكروه كأنه حرام ويجتنب الحرام كأنه كفر وينوى بجميع المباحات خيرا ليثاب على ذلك فينوى بالنوم فـــى القيلولة التقوى على قيام الليل ويتناول اللذات لمداواة نفسه إذا نفرت من العبادات بالكلية فان لسان حال النفس يقـــــول لصاحبها كن معى فى بعض أغراضى وإلا صرعتك

وكذلك ينوى بلباس الثياب الفاخرة إظهار نعمة الله تعالى دون الحظوظ النفسانية و كذلك يأكل الزبد من الطعام و البارد الحلو من الشراب لأجل استجابة أعضائه لشكر الله تعالى بعزم

و قد كان أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه يقول كلوا من طيب الطعام و اشربوا من ألذ الشراب وناموا على وطئ الفراش و البسوا ألين الثياب فإن أحدكم إذا فعل ذلك و قال الحمد لله يستجيب كل عضو فيه للشكر بخلاف ما إذا أكل خبز الشعير و لبس العباءة و نام على الأرض و شرب الماء المالح السخن وقال الحمد لله فانه يقول ذلك وعنده اشمئزاز وبعض سخط على مقدور لله تعالى

و لو أنه نظر بعين البصيرة لوجد الاشمئزاز و السخط الذى عنده يرجع فى الإثم على من تمتع بالدنيا بيقين فان المتمتع بالدنيا فعل ما أباحه الحق سبحانه وتعالى و من كان عنده اشمئزاز و سخط فقد فعل ما حرمه الحق عز و جل .

(فصل) فان قلت ما بالنا نسمع و نـــــرى كثيراً من الناس و حتى بعض أهل العلم ينهون عن هذه الطريقة و ينأون عنها و ينكرون على أهلها أشد الانكار قلت اعلم أيدك اللـــه تعالى أن المعول عليه موافقة الحق و اتباع الدين لا موافقة هذا و لا مخالفة فلا ذاك و لله در أميـر المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه و قد قيل له إن فلانا و فلانا يخالفانك فقال للسائل خيرنا اتبعنا لهذا الدين و قال مـــرة أخرى أنه ملبَّس عليك ، الحق لا يعرف بالرجال ، أعرف الحق تعرف أهله ،

و كيف يسع العاقل إنكار هذه الطريقة الصوفية و هي نتيجة العقل و فائدة العمر وثمرة العلم وزاد الآخرة و قد قيل العلم من غير عمل وسيلة بلا غاية كما أن العمل بلا علم جناية و أى جناية و قال الامام أبـــــو حنيفة لداود الطائى رضى الله عنهما وكان يتلقى عنه العلم أما الأداة فقد أحكمناها قال داود فما بقى . قال العمل

و ما أحسن ما قال الإمام الغزالـى بعد أن شرق و غرب و عاشر الناس ودرس المذاهب واختبر الطوائف كلها ، لقد عرفت يقينا أن الصوفيـــة هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة و أن سيرتهم أحسن السيـــــــر و طريقتهم أصوب الطرق و أخلاقهم أزكى الأخلاق بل لو جمع عقل العقلاء و حكمة الحكماء و علم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرتهم وأخلاقهم و يبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا الى ذلك سبيلا فان جميع حركاتهم و سكناتهم فـــي ظاهرهم و باطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة و ليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به ، فلا يصدنك عن هذه الطريقة السنية من لا يؤمن بها و اتبع هواه فتردى .

(فصل) فإن قلت و كيف تصنع بما نقله ابن الجوزى فى تلبيس إبليس عن الإمام الشافعى رضى الله عنه أنه قال صحبت الصوفية عشر سنين فما استفدت منهم إلا كلمتين ،

الوقت سيف و من العصمة ألا تجد ، قلت كفى الصوفية فخراً أن يصحبهم الإمام الشافعـي عشر سنين كاملة و أن يستفيد منهم و لو كلمة واحدة فمتى كان مثل الشافعـي في عقله و علمه و زهده و ورعه و تقواه محتاجا للاستفادة مـــن صوفية وقته و هو إمامهم و عمدتهم وإ ن لم يشتهر بذلك ولم ينسب اليه شئ مـــن علومهم بل الواقع ان جميع المتقدمين من أئمة الفقه و علماء الكلام كانوا مـــن علماء الآخرة العارفين بعلم القلوب و إنما منعهم مـــن تدريسه و التصنيف فيه –كما قال الإمام الغزالي في الإحياء و غيره –ما منع الصحابة مـــن تدريس الفقه و التصنيف فيه يعنى أنهم كانوا مشغولين بما هو أهم فـــــي وقتهم من استنباط الأحكام و تحرير الأدلة و العناية بأمر العامة فلم يتفرغوا للكلام فى أسرار التصوف الذى هو علم الخواص

و قد كفاهم الله تعالى فـي أنفسهم مئونته و آتاهم منه أوفر نصيب وعن طالع سيرهم و تتبع أخبارهم و وقف على أحوالهم عرف ذلك يقينا فقول الشافعى رضى الله عنه أنه لم يستفد من الصوفية إلا كلمتين ليس قدحا فيهم و لا غضا مـــن شأنهم و لا تحقيراً لعلومهم و إنما فيه إشارة لغزارة علمه و فضيلته فى هذه العلوم كما لو قال طالعت كتابا لفلان فى الفقه أو فى الحديث فلم أستفد منه إلا مسألة أو مسألتين لا يقصد به الطعن فى نفس الكتاب بل يشير به إلـــى قوة إحاطته و إلمامه بمسائله و محتوياته

على أنك تعلم أن أمر الصوفية مداره على العمل والسلوك وخير ما يتهاداه السالكون العمال من النصائح والإرشادات

الوقت سيف و من العصمة ألا تجد فكأن الإمام رضى اللـــه تعالى عنه إنما لخص التصوف فـــي هاتين الكلمتين و هذا كقول ابراهيم الخواص . العلم كله مجموع فى كلمتين ألا تتكلف ما كفيت ولا تضيع ما استكفيت فافهم. وما يدريك فلعل الإمام الشافعى رضى الله عنه إنما قال مقالته السابقة إن صحت عنه تحريضاً لأذكياء طلبته المتأهلين لمعرفة الفقه و البحث في الأصول ليشتغلوا بذلك كما اشتغل هو به رعاية للعامة و رحمة بالضعفاء و قياماً بحق الوقت ،و هذا كما لا يخفى باب عظيم مـــــن أبواب الخير الموصلة إلى الله تعالى - بل هذا فى الواقع هو التصوف الحقيقى ، ألا ترى إلى قول أبى عمرو عثمان المكى فى تعريف التصوف هـــو أن يكون الإنسان مشغولا بما هــو أولى فى الوقت - فليس التصوف كما يتوهم الجاهلون منحصرا في الخلوة و الانكباب على العبادة و الذكر من كل شخص و فى كل وقت بل العلم تعلما و تعليما تدريسا وتصنيفا و الجهاد فى سبيل الله تعالى و قمع المبتدعين المارقين بالسيف و القلم و اللسان و القضاء بين الناس بالعدل و السعى على العيال و إعطاؤهم ما يجب لهم من النفقة و الكسوة بالمعـــــروف و إعانة المضطر و إغاثة الملهوف و حسن الجوار و حمل الكل و كسب المعدوم و قرى الضيف والاعانة على نوائب الحق وهذه أخلاق الرسول ﷺ قبل البعثة و بعدها كل ذلك تصوف و سلوك لطريق الحق موصل الى الله تعالى متى حسنت النية و توفر الإخلاص و قد كتب بعض أصحاب الإمام مالك رضى الله عنه له كتابا يحثه فيه على الانفراد و العزلة و الانقطاع إلى العمل و ترك التعليم و التدريس

فكتب إليه الإمام يقول أن الله تعالى قسم الأعمال كما قسم الأرزاق فرب رجل فتح له فى الصلاة و لم يفتح له فى الصوم و آخر فتح له فى الصدقة و لم يفتح له فى الصوم و آخر فتح له فـــي الجهاد و لم يفتح له فى الصلاة ونشر العلم وتعليمه من أفضل أعمال البر و قد رضيت بما فتح اللـــه لي من ذلك و ما أظن أنا ما فيه دون ما أنت فيه و أرجـــــــو أن نكون كلنا فى خير وبحب على كل واحد منا أن يرضى بما قسم الله له والسلام .

واستشار سحنون شيخـــــــه ابن القاسم يخرج للجهاد أم يقعد للعلم و التدريس فأشار عليه بالقعود لذكائه و قوة تحصيله . و قد صعد أبو اسحاق الأسفير ابنى و كان من العلماء العاملين جبل لبنان و قال للمنقطعين فيه يا أكلة الحشيش أيسر محمداً أن تهربوا و تتركوا أمته تعبث بدينها المبتدعة ، فقالـــوا يا أستاذ لا طاقة لنا بذلك و أنت الذى أقدرك الله تعالى فنزل و ألف كتابة الجامع بين المعقول و المنقول .

(فصل) فان قلت هل يجب التصوف و سلوك الطريق على كل أحد فالجواب إن كان المقصود منه الاستعانة على أصـــــــل التقوى و التخلى عن عيوب النفس و صفاتها المذمومة من العجب و الكبر و الحسد و الرياء ..... الخ فهو واجب عينى على كل مكلف لا رخصة لأحد فى تركه –ضرورة أن تقوى الله تعالى و التخلي عن ترك الصفات المذمومة و أشباهها واجب لابد منه و ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب - - و هذا محمل قول الامام الغزالـــى أن أخذ التصوف فرض عين حتى قالوا أنه يجب السفر فى هذه الحالة إلى من يأخذه عنه متى عرف بصحة التربية و سداد النظر و ظهور الفلاح و الخيـــر

على يديه وان خالف الإنسان والده فى ذلك قال السنوسى رضى الله عنه النفس اذا غلبت كالعدو اذا فجأ تجب مجاهدتهـــــا و الاستعانة عليها و إن خالف والديه كما فى العدو إذا برز ..

و هذا القدر من التصوف و سلوك الطريق ميسور بعون اللــه تعالى لكل من أراد التزام الأحكام الشرعية و الوقوف عند ما حده اللـــــه تعالى من الأمر و النهى و لا يستثقله الا مـــن غلبته نفسه و استحوذ عليه شيطانه فقعد له كل مرصد و سول له إطاعة الهوى و الإخلاد الى الشهوات البهيمية . و أما إن كان المقصود من التصوف و سلوك الطريق الوصــول الى مقام الصديقين و درجات المقربين و الفــوز بالمشاهدات الروحية فلا يسعنا أن نقول بوجوب هذا على كل احد لما هو معلوم من أن التصوف بهذا المعنى يستلزم غالبا دوام المراقبة و استعمال الرياضة مـــن الجوع و السهر و الذكر ليلا ونهاراً و تكليف عامة الناس بذلك يؤدى حتما الـــى تعطيل المعايش و اختلال نظام الحياة - بل الواقع المشاهد أن ليس و كـــــل أحد مستعدا للتصوف بهذا المعنى و أين طبائع العامة من احتمال الرياضات و المجاهدات و أنى لها بهذا السمو الذى هو فوق مستواها و أبعد من طاقتها و إنما المستعد لـــه طائفة قليلة من الخلق اصطفاهم الله تعالى لحضرته و أهلهم لدوام خدمته لا تعوقهم العوائـــــق و لا تشغلهم العلائق قلوبهم معلقة بالمحل الأعلى أبدانهم فى الأرض و أرواحهم فى السماء .

وجوه عليها للقبول علامة و ليس على كل الوجوه قبول

فأمثال هؤلاء هم الذين يجب عليهم سلوك الطريق و اتباع أصولهما و رياضتها المعلومة و يقبح منهم غاية القبح أن يقعدوا مع القاعدين

كما حكى عن ذى النون رضـى اللـه تعالى عنه أنه سئل عـــــن السفلة (الحقير من الناس) فقال هو الذى لا يعرف الطريق و لا يتعرفه .

و لا غرابة في ذلك فان من يقيم على النقص و هــو يستطيع الوصول الي الكمال يستحق الذم من كل عاقل قال الراغب في الذريعة و اعلم انه يقبح بذى العقل أن يكون بهيمة و قد أمكنه أن يكــون انسانا أو يكون إنسانا و قد أمكنه أن يكون ملكا والشاعر الحكيم يقول :-

و لم أر في عيوب الناس شيئا كنقص القادرين على التمام

(فصل) و التصوف الحقيقى و سلوك الطريق لا يكون الا بعد تحصيل العلم لأن خلاصته ملازمة العبادة و التقــوى و تزكية النفس من أخلاقها المذمومة و ظاهر أن هذا لا يتأتى بدون العلم و لهـــذا يقول بعضهم التصوف أوله علم و أوسطه عمل و آخره موهبة و المراد بالعلم هنا ما أشار له سهل بن عبد الله بقوله

العلم ثلاثة

علم بالله أي بأسمائه و صفاته تعالى و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و يسمى علم التوحيد

و علم لله و هو العلم الخاص بتطهير القلب و تزكية النفس

و يسمى علم الطريقة و علم الأخلاق

و علم النفس و علم المعاملة الباطنية و علم بحكم الله و هو العلم بالأحكام الظاهرة المتعلقة بالجوارح مـــــن عبادات و معاملات

و يسمى علم الفقه و علم الظاهر .

و هذه العلوم الثلاثة التوحيد و التصوف و الفقه كلها مكتسبة و يجب ان يكون شيخ الطريقة المرشد ضليعا فيها متمكنا منها أما المريد المبتدئ فيكفيه التقليد و أخذوا صيف العبادات من عالم بها .

و بقى علم رابع و هو علم المكاشفة و العلم النوراني الذى يقذفه اللـــه تعالـــــى فى القلوب بعد تزكيتها فتتضح به المعانى المجملة وتنكشف به الأستار عن مخبئات الأسرار و يطلع به علـــى عجائب الملك و الملكوت و يسمى علم الحقيقة و العلم الوهبي و العلم اللدني و علم الباطن و علم التصوف شامل له و لعلم الطريقة كما أن علم الشريعة صادق على جميع هذه العلوم أصليها و فرعيها فكلها مقتبسة من أنوار النبوة و رسول اللـــه ﷺ هو مصدر الجميع و منبعها و لا مخالفة بين هذه العلوم قطعا و من زعم أن علم الباطن يخالف علم الظاهر فهو ضال مضل وكيف يخالفه و هو نتيجته و ثمرته المترتبة عليه .

فانظر كيف جمع هذا القائل فى تعريفه المذكور بين الشريعة و الطريقة و الحقيقـــة إشارة لتلازم هذه الثلاثة فالشريعــة العلم و الطريقة العمل و الحقيقة الموهبة و الكشف الذى يفتح الله تعالى به على المريدين نتيجة صدقهم فى المجاهدة و اخلاصهم فـــي العمل و هو معنى قول بعضهم الشريعة باب و الطريقة آداب و الحقيقة لباب .

وكيف نبهك بهذا الكلام الجامع النفيس الـــى أن الطريقة مركبة من أمرين العلم فيعرف المريد معبوده عز و جل اولا ثم يعرف كيف يعبده و كيف يتقرب اليه لأن الله تعالى انما يتقرب اليـــــه بالشرع المنقول لا بمناسبات العقول

فلا بد مـــن الفقه فى الدين و معرفة السنن و الآثار و أحوال السلف الصالح حتى يسير المريد على المنهاج القويم و لا ينحرف يمينا و شمالا إذ قد يظن بعض السالكين أن المقصود مخالفة النفس و محاربة الشهوات علـــى أى وجه فيمنع نفسه من الرفق و يحملها على المشقة و يدخلها فـى رياضات لم يأت بها الدين كالذى نذر أن يقوم و لا يقعد و أن يصوم و أن لا يستظل من الشمس فأمره النبـــــــي ﷺ بإتمام الصوم و نهاه عن عدم القعود و عدم الإستظلال إذ لا قربة فى ذلك و لا طائل تحته غير المشقة و الحرج ،

مما يشبه ذلك ماحكاه السهروردي عن بعضهم أنه صام سنين كثيرة و كان يفطر كل يوـــــم قبل الغروب الا فى رمضان ثم عقبه بقوله ان هذا ان قصد بإفطاره أن لا يتمتع برؤيـــــة الصوم يعنى لاعتداد به فقد تمتع برؤية عدم التمتع به و هذا يتسلسل و الأليق بموافقة العلم إمضاء الصوم قال اللـــــه تعالى (و لا تبطلوا أعمالكم) ثم اعتذر عنه بقـــــوله لكن أهل الصدق لهم نيات فيما يفعلون فلا يعارضون و الصدق محمود لعينه كيف كان و الصادق فى خفارة صدقه أين تقلب قلت لكن مـــا يعتذر عنه لا خير فيه و العذر لا يتعدى صاحبه فلا خير فى مثل هذا ،

ولذلك يقول سهل بن عبدالله اجتنب صحبة ثلاثة من أصناف الناس الجبابرة العاقلين و القراء (العلماء) المداهنين و المتصوفـــــة الجاهلين و ما أحسن قول ابن أبى زيد صاحب الرسالة القيروانية - و لا يصح قول و لا عمل إلا بنية ولا قول ولا عمل ولا نيـــة إلا بموافقة السنة و قد قال الشبلى للجنيد جعلك اللـــه صاحب حديث صوفيا و لا جعلك صوفيا صاحب حديث إشارة إلى أن الفلاح الحقيقى فى معرفة الأحكام والسنن أولا ثم التصوف أى " التعبد " بعد ذلك - -

الأمر الثانى العمل و المجاهدة على وفق العلم والشرع مجاهدة مستمرة بلا انقطاع و لا فتور فمن جاهد شاهد و من جد وجد و من سار على الدرب وصل . و مـــــن طلب الوصول بغير كد أضاع العمر فى طلب المحال فعليك بمداومة العمل مع القصد و الاعتدال و إياك أن تقلد من تركوا الأعمال اغترارا بنسائم الأحوال فكما أن الأعمال تزكوا بالأحوال فكذلك الاحوال تنمو بالأعمال و الله تعالى أودع أنوار الملكوت فى أصناف الطاعات فمن فاته من الطاعات صنف فقد من النور بمقدار ذلك هكذا قرر المشايخ المقتدى بهم فى هذا الشأن وبهذا صرحوا .

(فصل) و اعلم أنـــــه لا حياة للأمم ولا سعادة للشعوب و لا صلاح للفرد والمجموع إلا بالرجوع لتعاليم الصوفية الحقة التى هـــــــى تعاليم الدين الخالص فان بها تهذيب النفوس وتقويم الاخلاق وإصلاح القلوب وتطهيرها من الغل والحقد والحسد وحب الأثرة والعجب والكبر وفيها الحرية والعزة والشجاعة وبها تحيا القيم الروحية والأخلاق الفاضلة الديئية مـن الأمانة والصدق والوفاء و صلـــــة الأرحام و بر الوالدين و الاتحاد والتعاون و العدل و الرحمة و صيانة اللسان عـــــن الكذب و الغيبة و النميمة و ترك الفواحش والمنكرات مـــــن السرقة و الغصب و التعدي و الظلم و الخيانة و المكر و الخداع و قتل النفس و لعب الميسر إلى غير ذلك .

(فصل) فان قلت ما وجه الحاجة إلى الشيخ المرشد فـــــى الطريق قلت يحتاج اليه المبتدئ ليعرفه بالسنة و يبين لــه العقيدة الحقة و يرسم لــه الخطة و المنهاج المطلوب و يحتاج اليه حديث العهد بالتوبة قليل الاستقامة على التقوى لتكون صحبته للشيخ عونا لـــه على نفسه و تقوية لإرادته و همته و يحتاج اليـــــه طالب الكمال النازع إلى درجات القرب ليجنبه عقبات السير و مخاطره و يعلمه آداب الحضرة فإنها دقيقة المسالك خفية المدارك و لتكون الصحبة و التعليم من المشايخ عونا على استخراج ما فى طبيعته من كنوز المعارف و الأسرار فلهذا أجمع أهـــل الطريق على أن اتخاذ الشيخ العارف لا بد منه وفى صحيح البخارى عن عبد الرحمن بن يزيد قال سألنا حذيفة عن رجل قريب السمت والهدى من النبى ﷺ حتى نأخذ عنه فقال مــا أعرف أقرب سمتا وهديا و دلا (أي سيرة وحالا) من ابن أم عبد يعنى (ابن مسعود) رضى الله عنهما فانظر كيف طلب عبد الرحمن بن يزيد فى ذلك العهد وقبل أن تختلط الأمور وتختلف الأهواء وتتشعب الآراء رجلا يأخذ عنه سلوك الطريقة المرضية طريقة النبى ﷺ وأصحابه ويتعلم منه السكينة والوقار ولعمرى إذا كان هذا فى زمن التابعين فكيف بزماننا هذا – و ذكر ابن الجوزي فـــــى تلبيس إبليس عن أيوب السختيانى أنه قال إن من سعادة الحدث (أى الشاب الناشئ) والأعجمى أن يوفقهما اللــه تعالى لعالم من أهل السنة ، وعن ابن شوذب أنه قال إن من نعمة الله تعالى على الشاب إذا نسك (أى تعبد) أن يؤاخى صاحب سنة بحمله عليها .

(فصل) ولا مراء أن الاستقامة على الطريق الثبات على الحق شاق وصعب ولكن كما قال الغزالى فى منهاج العابدين من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل و من طاب له شيء و رغب فيه حق رغبته احتمل مشقته و لم يبال بما يلقى من مؤنته و من أحب أحدا حق محبته أحب أيضا احتمال محنته حتى أنه ليجد بتلك المحنة ضروبا من اللذة ألا ترى مشتار العسل (أى جانيه) لا يبالى بلسع النحل لما يتذكر من حلاوة العسل و الأجير لا يعبأ بارتقاء السلم الطويل مع الحمل الثقيل طول النهار الصائف المديد لما يتذكر من أخذ درهمين بالعشى و ان الفلاح لا يتفكر بمقاساة الحر و البرد ومباشرة الشقاء والكد طول السنة لما يتذكر من البيدر (الجرين) أوان الغلة وكذلك العباد الذين هم أهل الاجتهاد إذا ذكروا الجنة فى طيب مقيلها و أنواع نعيمها من حورها و قصورها و طعامها و شرابها و حليها وحللها وسائر ما أعده الله تعالى لأهلها هان عليهم ما احتملوه من تعب فى عبادة الله تعالى أو ما فاتهم فى الدنيا من لذة و نعمة أو نالهم من ضرر أو مشقة .

(فصل) ولا يهولنك ما قيل أو يقال ان هذه الطريقة قد انطمست أعلامها و اندرست أحكامها فان اطلاق هـــــــذا القول مجازفة بلا خلاف وبعد عن الحقيقة والإنصاف فما زال أهـــل هذه الطريقة على رغم ما أصاب الأمة من التدهور و انتابها مــن التأخر اذا قستهم بغيرهم من الطوائف وجدتهم عنوان السلف الصالح و رمز الكمال فـــى العلم و العمل أوقاتهم معمورة بالأذكار المغمورة بالأنـــــــــوار يشعر الجالس معهم كأن العهد بينه و بين السلف السابقين قد انطـــــوت مسافته و انقشعت كثافته بهم يتجدد الخشوع و الإنابة و تتطهر القلوب من الجناية بهم تقوى العزائم الكليلة و تحيا الهمم الميتة كما تحيا الأرض بوابل المطر و لا غرو فهم القوم لا يشقى جليسهم ومن جرب مثل تجربتنا عرف مثل معرفتنا فما شهدنا إلا بما علمنا والله على ما نقول وكيل

نعم لا ننكر أن الصادق قد قل الآن لكن القلة غيــر الفقدان و لسنا نقول كما قال العارف المرسى رضى الله عنه لا يذهب الله بولي إلا و أتى بأفضل منه أو بمثله على غرار قوله عـز و جـــل " ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها " وانما نكتفى بأن نقول أن أولياء اللــه تعالى و هم السابقون السابقـون " ثلة من الأولين و قليل من الآخرين " و المقصود أن الخير لم ينقطع و لن ينقطع حتى يأتى أمر الله تعالى و كيف ينقطع مدد الرسول و سره الموصول صلوات الله و سلامه عليه ففى الصحيحين (لا يزال ناس من أمتى ظاهرين على الحق حتى يأتى أمر الله و هم ظاهرون) و فى رواية لمسلم (لا يزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله و هم كذلك)

و روي عنه عليه الصلاة والسلام . مثل أمتى مثل حديقة قام عليها صاحبها فاجتلب ركيها أي ماءها (و الركى البئر) و هيأ مسالكهـــا و حلق سعفها فأطعمته عاما فوجا ثم عاما فوجا فلعل آخـــــرها طعما يكون أجودها قنوانا وأطولها شمراخا . و الذى بعثني بالحق ليجدن ابن مريـــــم من أمتى من حواريه

و من كلام للإمام على رضى الله عنه . اللهم لا تخلو الأرض من قائم لله بحجته لكيلا تبطل حجج الله تعالى و ببنائه و كم و أين (أى كم عددهم و أين مكانهم) أولئك الأقلون عددا الأعظمون عند الله قدرا أعيانهم مفقودة و أمثالهم فى القلوب موجودة يحفظ اللـــه تعالى بهم حججه حتى يودعوها نظراءهم و يزرعوها فى قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعره المترفون و أنسوا بما استوحش منه الغافلون – و فى رواية الجاهلون – صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى - أو الملأ الأعلى - أولئك أولياء الله من خلقه و عماله فى أرضه و الدعاة إلى دينه ثم بكى رضى الله عنه و قال و اشوقاه إلى رؤيتهم

ذكر هذا الحديث الغزالى فى الاحياء و أبو نعيم فى الحلية وأبو طالب فى قوت القلوب وابن القيم فـــى مفتاح دار السعادة قال ابن القيم قال أبو بكر الخطيب هذا حديث حسن مـــن أحسن الأحاديث معنى و أشرفها لفظا قلت و من تأمل فى كلام على هذا و جده حرفا حرفا ينطبق على الصوفية و أهـــل الطريق فهم الذين هجم بهم العلم على حقيقة الأمر و هم الذين استلانوا ما استوعره المترفون و أنسوا ... الخ

و هذا العلم إنما يستفاد أكثره كما قال الغزالى من العمل و المواظبة على المجاهدة التى هى شأن الصوفية و أهل الطريق . و قد صرح أبو إسحاق الشاطبى فى كتاب الموافقات بأن معرفة التقوى و مراميها و معرفة أحوال النفوس و تفاوت إدراكها و قوة تحملها للتكاليف و صبرها على حمل أعبائها أو ضعفها و معرفة التفاتها إلى الخطوظ العاجلة و عدم التفاتها و معرفة ما يصلح لكل مكلف فـى نفسه بحسب وقت دون وقت و حال دون حال و ما يتفاوت فيه الأشخاص صرح بأن ذلك كله من أنواع الاجتهاد و سماه بتحقيق المناط الخاص و أشار إلى أنه نور يرزقه اللـــه تعالى لعبده و قال إن منشأ نتيجة التقوى المذكورة فى قوله تعالى (إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) ثم قال إن هذا النوع من تحقيق المناط هـــو الاجتهاد الذى لا يمكن أن ينقطع حتى ينقطع أصـــــــل التكاليف و ذلك عند قيام الساعة و هذا كلام واضح وصريح فى أن السالكين لطريق الحق و التقوى لا ينقطع مددهم و إن قل عددهم حتى تقوم الساعة ،

وان أردت مزيدا من الايضاح فاعلم أن الله تعالى أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق لكافة الخلائق الى يوم القيامة وكتب السعادة لمن اتبعه وعمل به فى أى زمان وأى مكان وقد أخبرنا صلى الله عليه وسلم أنه لا تزال طائفة من أمته ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله تعالى ولا يكونون ظاهرين على الحق إلا إذا كانوا عالمين به متمكنين منه متفقهين فيه يمكنهم أن يقيموا حججه و يوضحوا معالمه و يبينوا فرائضه و سننه و آدابه التى تداوى علل القلوب و توصل الى علام الغيوب

و هذه خاصية الطريق وعلامة أهلها فعلى من أراد أن ينصح نفسه و يرضى ربه أن يدخل فيها و يلتحق بهؤلاء القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم و لا يخيب مريدهم و أن الالتحاق بهم هى الهجرة الباقية و اللـــه تعالى يقول (و من يخرج من بيته مهاجرا الى اللـــه و رسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على اللــه) فالمريد كما قال فى عوارف المعارف ينبغى أن يخرج الى طريق القوم للـــــه تعالى فان وصل الى نهاياتهم فقد لحق بهم وان أدركه الموت قبل الوصول فأجره على الله تعالى . و لست بهذا أشير الى طريقتنا الخلوتية فحسب فالطريق كثيرة و الدعاة الى اللـــــه تعالى بحق متوفرون بحسب حال الوقت و كلهم من رسول الله ﷺ ملتمس و من أنواره مقتبس و لا يضرهم من ضل من المنكرين و لا من اندس فيهم من البطالين فما من داع الى اللـــه تعالى إلا و لحقه نصيب من الإنكار و لا حق إلا و هناك باطل يزاحمه و العاقل يتبصر و يتفرس و مـــن يطلب الخير يؤته و من يتحر الشر يوقه اللهم اهدنا و اهد بنا و انفعنا و انفع بنا وتقبل منا إنك أنت السميـــع العليم و صلى اللـــه تعالى وسلم على سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين

الفقير إلى الله تعالى

محمد أحمد الطاهر الحامدي

المدرس بالمعاهد الدينية

تقريظ

نحمدك يا من منحت أحبابك نـــــور الهداية و التوفيق ، و سلكت بهم الى حضرتك أوضح سبيل و أقرب طريق ، و هديتهم بفضلك الـــــى الطيب من الأقوال و الأفعال ، و نصلى و نسلم على أفضل من دعا اليك و دل بحاله و قاله عليك ، سيدنا و مولانا محمد و على آله و أصحابه كملة الرجال ... أما بعد فقد أطلعنا على كثير من مباحث هذه الرسالة المسماة { نور الهداية } لمؤلفها العارف بالله تعالى الداعى اليه على بصيـــــرة ، المختص بالمزايا العديدة و الفضائل الكثيـرة حضـــــــــرة الأستاذ الفاضل و المرشد الكامل " محمد افندى الرملى " فألفيناها رسالـة لطيفـة ، و تحفة بديعة منيفة، ترسم لمريدى الآخرة طريق التقوى ، و تهديهم للتـــى هى أقوم و أقوى ، فهى نعم العون لمن رام السلوك ، و أراد القرب من ملك الملوك ، بلغنا الله تعالى و مؤلفها الآمال ، و وفقنا على الدوام لصالح الأعمال ، أنه سميع مجيب . و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم .

محمد سليمان — واعظ عام القاهرة

محمد الطاهر الحامدى — المدرس بالمعاهد الدينية

كتاب

نور الهداية

تأليف

العارف بالله تعالى السيد

محمد الرملى

مطبعة البرلمان 7 شارع الترجمان أول شارع محمد على (العتبة) مصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة والسلام على سيدنا محمـــــد الذى أنار الكون و على آله و صحبه و سلم .

وبعد – فقد طلب منى بعض الإخوان عمل كتاب يكون مبدأ لهدايتهم يجمع بين إصلاح القلوب و فضائل الأعمال ترغيبا فى السير على المنهاج القويم ، فامتثلت أمرهم معتمدا عليه سبحانــه و تعالـى طالبا منه التوفيق وسميته { نور الهداية } أسأله تعالى أن يكـــــون النفع به شاملا ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، إنه نعم المولــى ونعم النصيــر

المؤلف

الفصل الأول

النيات

ينبغى للمريد الصادق أن تكون له فى كل عمل يباشره نية صالحة و لو كان من المباحات كالأكل و النوم بأن ينوى بمثل ذلك التقوى على طاعة اللـــه تعالى لينال محبة اللـــه تعالى و يحوز ثوابه العظيم ، عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عن رسول اللـــه ﷺ قال " إنما الأعمال بالنيات و إنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله و رسوله فهجرته إلى الله و رسوله ، و من كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إمرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه " و عن أبى الدرداء عنه ﷺ قال " من أتى فراشه و هو ينوى أن يقوم يصلى من الليل فغلبته عينه حتى أصبح كتب له ما نـوى و كان نومه صدقة عليه من ربه " و عنه ﷺ أنه قال " نية المؤمن خير من عمله" و فى الحديث القدسى " الإخلاص سر من أسراري استودعه قلب من أحب من عبادى "

الفكر

من المأثور عن ابن عباس رضى اللــه عنهما أنه قال " تفكر ساعة خير من قيام ليلـــة " و قال ابراهيم ابن أدهم " الفكرة حج العقل و القلب " و فى بعض كتب اللـــه المنزلة إنى لست أقبل كلام كل حكيم ، و لكن أنظر إلى همه و هواه . فان كان همه و هواه إلى جعلت همه تفكراً ، و كلامه حمداً و ينقسم الفكر إلى أقسام :

الأول : الفكر فى المصنوعات و الاستدلال بها على الله تعالى و هو شأن العلماء بالله تعالى .

الثانى : الفكر فى لطائف صنع الله بالعبد و فواضل نعمه عليه و هو مادة الشكر لله .

الثالث : الفكر فى الأعمال وتخليصها من الشوائب الفادحة كالعجب والرياء وهو شأن العابدين .

القلب

القلب محل نظر الحق سبحانه و تعالى ، فعلـى المريد الصادق أن يعتنى بصلاحه قبل كل شئ . قال تعالى " يعلم خائنة الأعين و ما تخفى الصدور " و قال تعالى " اللـــــه يعلم ما فى قلوبكم " و قال تعالى " إنه عليم بذات الصدور " و قال رسول اللـــــه ﷺ (إن الله لا ينظر إلى أجسامكم و لا إلى صوركم و لكن ينظر الى قلوبكم) و قال ﷺ (ألا و إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله و اذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب) و فى الحديث (إن لله أوانى ألا و هى القلوب فأقربها إلى الله ما رق و صفا و صلب) و يروى هذا الحديث عن على كرم الله وجهه و قد فسره فقال : صلب فى الدين ، و صفا فى اليقين ، و رق على الإخوان .

المحبة

المحبة مقام شريف ، و مطلب سنى إليـــــه تمتد الآمال و تتسابق همم الرجال و قد اختلف العلماء فـى حقيقتها ، و أحسن ما قيل فيها : إن محبة اللــه للعبد معناها إرادة الخير و القرب له ، و محبة العبد لربه إيثار مراضيه و اجتناب مناهيه . قال رسول الله ﷺ (ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الأيمان . أن يكون الله و رسوله أحب اليه مما سواهما، و أن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، و أن يكره أن يعـود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار) و قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه (من ذاق من خالص محبة الله عز و جل شغله ذلك عن طلب الدنيا ، و استوحش عن جميع البشر) و قال سهل بن عبدالله (علامة محبة الله تعالى إيثار الله على نفسك و ليس كل من عمل الطاعات صار حبيبا ، و إنما الحبيب من ترك المعاصى) و من علامات المحبة ألا يخلو قلبك و لا لسانك من ذكر الله تعالى قال يحي بن معاذ (من لم يكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب . يؤثر كلام الله تعالى على كلام الخلق ، و لقاء اللـــــه تعالى على لقاء الخلق، و العبادة على خدمة الخلق) و قال ابراهيم بن أدهم (أوحى اللــه تعالى إلى يحي بن زكريا عليهما الصلاة و السلام : يا يحي إنى قضيت على نفسى ألا يحبنى أحد من خلقى أعلم ذلك من نيته إلا كنت سمعه الذى يسمع به و بصره الذى يبصر به ، و فؤاده الذى يعقل به ، فإذا كان كذلك بغضت إليه الاشتغال بغيرى ، و أدمت فكره ، و أسهرت ليله ، و أظمأت نهاره ، أنظر إليه فى كل يوم سبعين نظرة فأرى قلبه مشغولا بى فأزداد من حبه و أملأ قلبه نـــورا حتى ينظر بنورى فكيف يسكن يا يحي قلبه و أنا جليسه و غاية أمنيته ، و عزتى و جلالى لأبعثنه مبعثا يغبطه النبيون والمرسلون : ثم آمر منادياً ينادى : هذا حبيب الله و صفيه ، دعاه إلى زيارته ، فاذا جاءنى رفعت الحجاب بيني وبينه .

التقوى

قال تعالى " و من يتقى الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب " و قال تعالى " إن أكرمكم عند الله أتقاكم " و قال تعالى " فاستقم كما أمرت " الآية ..

و حقيقة التقوى أن تسير على الوجه الذى أمرنا الله به من حيث الشرع و هى أمتثال الأوامر ، و اجتناب النواهى و ينبغى لك أيها المريد أن تكون حكيما تأخذ نفسك بالسياسة فتصلى ما دمت منشرحا لأن الصلاة أفضل العبادة و معراج المؤمنين إلى ربهم ، و إذا سئمت ذلك فعليك بالتلاوة فى كتاب الله عز وجل ، و إذا تعبت فعليك بالذكر باللسان وإن تعبت فعليك بذكر القلب و هو المقصود إذ هـــو المراقبة . ففى الصحيح فى سؤال جبريل عليه السلام للنبى ﷺ قال يا رسول اللـه ما الإحسان ؟ قال أن تعبد اللـه كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . و جاء رجل إلى النبى صلى اللــه عليه و سلم فقال أوصنى : فقال عليك بتقوى الله فإنها جماع كل خير ، و عليك بالجهاد فإنه رهبانية المسلمين و عليك بذكر الله و تلاوة كتابه فإنه نور لك فى الأرض و ذكر لك فى السماء ، و اخزن لسانك إلا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان

و روى عن رسول الله ﷺ أنه قال (إذا جمع الله الأولين و الآخرين لميقات يوم معلوم يقول الله تعالى يأيها الناس انى قد جعلت نسباً و جعلتم نسبا فوضعتم نسبى ، و رفعتم نسبكم . قلت إن أكرمكم عند الله أتقاكم فأبيتم إلا فلان ابن فلان ، وفلان أغنى من فلان فاليوم أضع نسبكم و أرفع نسبى . أين المتقون فينصب للقوم لواء فيتبعون لـــــواءهم إلى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب .

و تقوى الله تعالى و الاستقامة علـــى شرعه أفضل الكرامات ، و أولى ما تتشوف له نفوس المريدين . قـــال أبو على الجرجانى قدس سره (كن طالب الاستقامة لا طالب الكرامة ، فإن نفسك متحركة فى طلب الكرامة و هـــــو يطلب منك الاستقامة . فالكرامة فى خدمة الخالق ، لا باظهار الخوارق) .

حكى أنـــه قيل للشيخ أبى سعيد قدس سره ان فلانا يمشى على الماء فقال إن السمك والضفادع كذلك : و قيل إن فلانا يطير فـــى الهواء فقال إن الطيور كذلك : و قيل إن فلانا يصل إلى الشرق و الغرب فى آن واحد فقال : إن ابليس كذلك : فقيل فما الكمال عندك ؟ قال أن تكون فى الظاهر مع الخلق و فى الباطن مع الحق .

الخوف

كان رسول الله ﷺ إذا وقف يصلى بالليل يسمع لدمعه وقع كوكف المطر ، و كان إذا تغير الريح تغير وجهه و يتردد داخلا و خارجا خوفا علـــــى أمته من عذاب الله تعالى ، و فى الإحياء للغزالى : قال رسول الله صلى اللـــه عليه و سلم : " ما جاءنى جبريل قط إلا و هـــو يرعد فزعا من الجبار عز وجل " و قيل لما مكر بإبليس - لعنه اللـــــه - طفق جبرائيل و ميكائيل عليهما السلام يبكيان فأوحى الله تعالى إليهما مالكما تبكيان كل هذا البكاء قالا يارب ما نأمن مكرك . فقال الله تعالى هكذا كونا ، لا تأمنا مكرى .

الرجاء

الرجاء حسن الظن باللـــه تعالى فى قبول طاعة وفقت لها أو مغفرة سيئة تبت منها فأما الطمأنينة مع ترك الطاعات والإصرار علـــى المخالفات فأمن و غرور وقد نهى اللــه عنه بقوله تعالـــــى : (و لا يغرنكم بالله الغرور) يعنى الشيطان فانه يحسن لك المعاصى و ربما يجرك إلى ذلك برجاء عفو اللــه تعالى و كرمه ، و آيات الرجاء كثيرة منها : (إن اللـــــه يغفر الذنوب جميعا) و أخرى (إن اللـــــــه لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء) و أخرى (و من يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما) و أخرى (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) ،

و قال رسول اللــه ﷺ : و الذى نفسى بيده لو لم تذنبوا و تستغفروا لذهب الله بكم و جاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر اللـــه لهم . و قال رسول الله ﷺ : إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن و الإنس و البهائم و الهوام فيها يتعاطفون و بها يتراحمون و بها تعطف الوحوش علـــــى ولدها و أخر تسعا و تسعون رحمة يرحم بها عباده يـــــوم القيامة . و عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قدم رسول اللــه صلى الله عليه و سلم بسبى فاذا امرأة من السبى تسعى إذ وجدت صبياً فى السبى فأخذته فالصقته ببطنها فارضعته فقال رسول اللـــه ﷺ أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار . قلنا لا و الله . فقال : اللـــــه أرحم بعباده من هذه بولدها . و عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول اللــه ﷺ قال : قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله : إذا مت فحرقونى ثم ذروا نصفى فى البر ونصفى فى البحر فو اللـــه لئن قدر اللـــــه على ليعذبنى عذابا لا يعذبه أحداً من العالمين ، فلما مات الرجل فعلوا به ما أمرهم فامر الله تعالى البر فجمع ما فيه و أمر البحر فجمع ما فيه ثم قال له لم فعلت هـــــذا بنفسك ؟ فقال من خشيتك يارب و أنت أعلم فغفر الله تعالى له . و جاء رجل إلى النبى صلى اللـــــه عليه و سلم فقال يا رسول الله إنى قد أصبحت حداً فأقمه على فسكت عنه فأعاد الكلام ثلاثا و أقيمت الصلاة فصلى النبى ﷺ بالناس ثم أنصرف فتبعه الرجل و أعاد الكلام فقال له النبـــــــى ﷺ أرأيت حين خرجت من بيتك أليس قد توضأت فأحسنت الوضوء فقال بلى يا رسول الله قال ثم شهدت الصلاة معنا قال نعم يا رسول الله ففقال رسول الله ﷺ : فإن الله تعالى قد غفر لك حدك ، أو قال ذنبك .

التوبة

قال تعالى (و توبوا إلى اللـــــه جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) و قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى اللـــه توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم) و وعد بقبول التوبة فى قوله تعالى (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده و يأخذ الصدقات) و فى قوله تعالى (و هو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات) و وعد التائب بالمغفرة فقال تعالى (و إنى لغفار لمن تاب و آمن وعمل صالحا ثم اهتدى) و قال تعالـــــــى (غافر الذنب و قابل التوب شديد العقاب ذى الطول) و قد ذكر الله تعالى إنه يحب التائبين و يقربهم اليه زلفى فقال (إن الله يحب التوابين و يحب المتطهرين) و الآيات فى ذكر التوبة كثيرة . و فى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : يا أيها الناس توبوا إلى الله فانى أتوب اليه فى اليوم مائة مرة . و عن أبى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول اللـــه ﷺ من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه . و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : التائب من الذنب كمن لا ذنب له . و فى الحديث أن رسول اللـــــه ﷺ قال : إذا تاب العبد من ذنوبه أنسى اللـــه حفظته ذنوبه و أنسى ذلك جوارحه و معالمه من الأرض حتى يلقى اللـــــه يوم القيامة و ليس عليه شاهد بذنب وقال يحي بن معاذ ذنب واحد بعد التوبـــــة أقبح من سبعين قبلها . و يقال من رجع عن المخالفات خوفا من عذاب الله تعالى فهو تائب ومن رجع حياء من نظر الله تعالى فهو منيب ومن رجع تعظيما لجلال الله فهو أواب .

الموت

ذكر الموت عون على الزهد فى الدنيا والرغبة فيما عند الله تعالى قال الله تعالى : (كل نفس ذائقة الموت و إنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار و أدخل الجنـــــة فقد فاز و ما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) و قال رسول اللـــــه ﷺ : كفى بالموت واعظا . و قال ﷺ : إكثروا من ذكر هازم اللذات - يعنى الموت –فانه ما ذكره أحد فـــى ضيق إلا وسعه و لا ذكره فى سعة إلا ضيقها عليه . و سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن أكيس الناس فقال أكثرهم للموت ذكراً و أشدهم لما بعده استعدادا ، وأولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة .

الوعيد

قال اللـــــه تعالى (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ، ثم توفى كل نفس ما كسبت و هم لا يظلمون) ، إذا قام الناس مـــــــن قبورهم للفصل والقضاء حشروا على أحوال مختلفة . فمنهم من يكسى ، و منهم من يحشر عريانا و منهم راكب و ماش و مسحوب على وجهه ، و منهم مـــــــن يذهب إلى الموقف راغبا . و منهم من يذهب خائفاً ، و منهم قوم تسوقهم النار سوقا و تبدل الأرض غير الأرض و يزاد فيها و تصير بيضاء عفراء ، و تذهب جبالها و أشجارها و أوديتها . فاذا اجتمع الأولـــون و الآخرون فى صعيد واحد تناثرت النجوم من فوقهم ، و طمس ضـــــوء الشمس و القمر و اشتدت الظلمة و يعظم الأمر ، ثم تنشق السماء على غلظها و صلابتها فتسمع الخلائق لانشقاقها صوتا عظيما

ثم ينظرون إلى الملائكة هابطين إلـــــى الأرض فتنزل ملائكة سماء الدنيا فيحيطون بالخلائق ، ثـــم ملائكة السماء الثانية خلفهم دائرة ثانية ، و هكذا تكون سبع دوائر فـــــــى كل دائرة ملائكة سماء ثم تسيل السماء فتكون كالمهل - وهو النحاس المذاب - فيطوى بعضها على بعض ثم تذهب حيث شاء اللـــــه تعالى . وتدنو الشمس من رؤوس الخلائق حتى تكون قدر ميل فيشتد الكرب من الزحام ويكثر العرق كما قال رسول اللـــــه صلى الله عليه وسلم (يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فـــــــى الأرض سبعين ذراعا وإنه يلجمهم حتى يبلغ آذانهم) رواه مسلم فى الصحيح . و يكون الناس يومئذ فـــى العرق مختلفين ، فمنهم من يبلغ ركبتيه ، ومنهم من يبلغ حقويه ، و منهم من يبلغ أذنيه ، و لا ظل يومئذ إلا ظل اللـــه و هو ظل يخلقه الله تعالى فى المحشر لا يكون فيه إلا من أراد الله إكرامه ، فيقف الناس كذلك شاخصين إلى نحو السماء قدر أربعين سنة من سنين الدنيا لا ينطقون فاذا طال انتظارهم طلبوا مـــن يشفع لهم ليستريحوا من الوقوف و الانتظار و الكرب ، فيأتون آدم و يطلبون منه الشفاعة فيقول : لست لها و يدلهم على نوح فيقول لهم كذلك و يدلهم على إبراهيم فيقول لهم كذلك ، و يدلهم على موسى فيقول لهم كذلك ، ويدلهم على عيسى فيقول كذلك ، ويدلهم على نبينا محمد ﷺ وعليهم أجمعين . فيقوم ويشفع حينئذ باذن اللـــه تعالى ، فهذه أول الشفاعة لإراحة الناس من كرب الموقف .ثم يقوم ﷺ مقاما على يمين العرش لا يقوم فيه أحد من الخلق غيره هو يسجد لله و يلهمه اللـــه تعالى دعاء فى ذلك الوقت لم ينطق به غيره قط فيقول الله تعالى : ما تريد أن أصنع بأمتك فيقول عجل حسابهم .

و قال رسول اللـــه ﷺ (يؤتى بالنار يوم القيامة لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها) و قال ﷺ (ناركم هذه ما يوقد بنو آدم جزء واحد من سبعين جزءاً من نار جهنم) قالوا و اللـه إن كانت لكافية . قال إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها ، ثـــم الناس هنالك مختلفون . فمنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه ، و منهم من تأخذه إلى كعبه ، و منهم من تأخذه النار إلى عجيزته ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته . و قال رسول الله ﷺ (إن اهون أهل النار عذابا من له نعلان وشرا كان من نار يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل ما يرى أن أحدا أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذابا .

الوعد

يقول الله تعالى " للذين اتقو عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها و أزواج مطهرة و رضوان من الله و الله بصير بالعباد " و روى فى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : قال الله عز و جل " أعددت لعبادى الصالحيـــن ما لا عين رأت ، و لا أذن سمعت ، و لا خطر على قلب بشر " و اقرأوا إن شئتم " فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون "

و فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها و اقرءوا إن شئتم (و ظل ممدود) و موضع سوط فـــى الجنة خير من الدنيا وما فيها واقرءوا إن شئتم (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور)

و الجنات ثمان . دار الجلال . و دار السلام . و جنة المأوى . و دار الخلد . و جنة النعيـــــم . و دار القرار . و جنة عدن . و جنة الفردوس . و روى أن فى الجنة مائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء و الأرض و عن أبى هريرة رضى اللـــه عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (إن أول زمرة تدخل الجنة من أمتى على صورة القمر ليلـــة البدر . ثم الذين يلونهم على أشد نجم فى السماء إضاءة ثم هم بعد ذلك منازل لا يتغوطون و لا يبلون و لا يمتخطون و لا يبصقون ، أمشاطهم الذهب و مجامرهم الألوّة ، ورشحهم المسك . أخلاقهم علـــى خلق رجل واحد ، على طول أبيهم آدم ستون ذراعاً) و قال رسول الله ﷺ (إن فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا فى كل زاوية منها أهلون ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن . و عن أنس رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال (إن فى الجنة لسوقا يأتونها فى كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو فى وجوههم و ثيابهم فيزدادون حسناً و جمالا فيرجعون إلى أهليهم و قد ازدادوا حسناً و جمالا فيقول لهم أهلوهم : و الله لقد أزددتم بعدنا حسنا و جمالا : و قال أبو هريرة (إنها الجنة تتفجر من جبال المسك) و روي زيد ابن أرقم عن رسول الله صلي عليه وسلم قال (و الذي نفسي بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل فى المطعم والمشرب و الجماع (الحديث) و قال ابن عمر فى قول الله عز و جل (يطاف عليهم بصحاف من ذهب) يطاف علي كل مؤمن سبعين ألف صحفة من ذهب كل صحفة فيها لون من الطعام ليس فى الأخرى

قال ابن مسعود فى قوله تعالى (ومزاجه من تسنيم) قال عين تتسنم أى تجرى صاعدة فى العلو يخرج منها شراب أهل اليمين و يشربها المقربون صرفا . و فى الصحيح (لو أن إمرأة من نساء الجنة أطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما)

و روى أن الرجل فى الجنة إذا اشتاق إلى أحد من إخوانه الذين كان يحبهم فى الدنيا في الله تعالى سار سريره حتى ينتهى إلى سرير الآخر فيتحدثان ويتذاكران ما كان بينهما من الصحبة فى الله تعالى ، ثم يسير سريره إلى مكانه ، و قال على بن أبى طالب رضى الله عنه (إذا انتهى أهل الجنة إلى أبوابها و جدوا عند كل باب شجرة تخرج من تحتها عينان تجريان فيشربون من إحداهما فيذهب الله عنهم كل باس و داء و غل ، و يتطهرون من الأخرى فتجرى عليهم نضرة النعيم يتقدمون إلى الأبواب فتقول لهم الملائكة (سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) و تتلقاهم الولدان فرحين ، ثم يذهب الولدان فيبشرون الحور العين فتفرح كل حوراء بزوجها ، حتى إنهن ليقفن على أبواب القصور منتظرات المؤمنين ، فإذا دخل الرجل إلى منزله رأى أساس بنيانه جنادل اللؤلؤ فوقه حيطان من ذهب وفضة ، فإذا دخل وجد أزواجا مطهرة و أكوابا موضوعة و نمارق مصفوفة و زرابى مبثوثة فيتكئ حينئذ و يقول : الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، فاذا التقى كل زوج مع زوجته ناداهم منادياً أهل الجنة تحيون فلا تموتون أبداً وتقيمون فلا تطعنون أبداً،وتصحون فلا تمرضون ابداً)

و قال الحسن البصري (أهل الجنة كلهم أبناء ثلاث وثلاثين سنة . بيض كحل جرد مرد قد اطمانت بهم الدار وطاب لهم القرار ، و إن أنهارها لتجري على رصراص من ياقوت و زبرجد ، وترابها الزعفران و طينها المسك الأذفر ، و إن رائحتها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام و أزواجهم من الآدميات و من الحور العين قد طهرت أخلاق الجميع من كل سوء و طهرت أجسامهم من كل دنس و تغير .

و فى الحديث (لا يقطع رجل ثمرة من الجنة فتصل إلى فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها خيراً منها ، و ثمارها يتناولها القائم و القاعد و المضطجع قال الله تعالى (و ذللت قطوفها تذليلا ، متكئين على رفرف خضر و عبقرى حسان)

و عن صهيب قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه و سلم (للذين أحسنوا الحسنى و زيادة) فقال : اذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد إن لكم عند الله عهداً يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو ألم يثقل موازيننا ؟ ألم يبيض وجو هنا ؟ ألم يدخلنا الجنة ؟ ألم يجرنا من النار ؟ فيكشف عنهم الحجاب فينظرون إلى الله عز وجل فما من شئ أحب اليهم من النظر اليه : وقد بين الله تعالى الأوصاف التى تؤهل العبد لسكنى هذه الدار فقال تعالى (الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا و قنا عذاب النار . الصابرين و الصادقين و القانتين و المنفقين و المستغفرين بالأسحار) وصفهم بالإيمان ثم بالاستغفار من الذنوب و لا يصح الاستغفار الا بالتوبة من الأوزار ، ثم وصفهم بالخوف من العقاب ، و انهم يسألون الله تعالى السلامة من العذاب ثم وصفهم بالصبر ،

والصبر تمام الأمر و هو الصبر على المكاره و المصائب و جاء ثواب الله تعالى و الصبر عن الشهوات المحرمة خوف عقاب الله تعالى و الصبر على ملازمة فرائض الله تعالى قال ﷺ (حفت الجنة بالمكاره ، و حفت النار بالشهوات) وقال ﷺ (ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ قالوا بلى يا رسول الله : قال كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره . ألا أخبركم بأهل النار ؟ قالوا بلي قال كل عتل جواظ متكبر) وفي الحديث(الكيس من دان نفسه وعمله وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمني علي الله الأماني) .

الفصل الثانى

الفرائض – الصلاة

الصلاة أفضل الطاعات ، و أحسن الهيئات ، و الحكمة فى فريضتها أنه صلى الله عليه وسلم لما أسرى به شاهد ملكوت السموات بأسرها وعبادات سكانها من الملائكة فاستكثر عليه الصلاة و السلام ذلك غبطة لأمته فجمع الله له فى الصلوات الخمس عبادات الملائكة كلها لأن منهم من هو قائم ، و منهم من هو راكع ، و منهم من هو ساجد ، و حامد ، و مسبح إلى غير ذلك فأعطى الله تعالى أجور عبادات أهل السموات لأمته إذا أقاموا الصلوات الخمس و أما الحكمة فى أن جعلها الله مثنى وثلاث ورباع ، فلأنه عليه الصلاة والسلام شاهد هياكل الملائكة ليلة المعراج أولى أجنحة مثنى و ثلاث و رباع فجمع الله سبحانه وتعالى ذلك فى صور الصلوات عند عروج ملائكة الأعمال بأرواح العبادات ، لأن كل عبادة تتمثل فى الهياكل النورانية و صورها كما ورد ذلك ، بل تخلق الملائكة من الأعمال الصالحة كما ورد فى الأحاديث وكما جعل الله أجنحة الملائكة على ثلاث مراتب ، جعل أجنحتك التى تطير بها إلى الله تعالى موافقة لأجنحتهم ليستغفروا لك .
وروى عن على رضى الله تعالى عنه قال (بينما النبى ﷺ جالس مع المهاجرين و الأنصار إذ أقبل جماعة من اليهود فقالوا يا محمد إنا نسألك عن كلمات أعطاهن الله لموسى لم يعطها إلا نبياً مرسلا ، أو ملكا مقرباً ، فقال لهم النبى ﷺ اسألوا

: فقالوا يا محمد أخبرنا عن هذه الصلوات الخمس التى فرضها الله على أمتك ، فقال عليه الصلاة والسلام - أما صلاة الظهر فإذا زالت الشمس يسبح كل شئ ربنا ، و أما صلاة العصر فإنها الساعة التى أكل آدم فيها من الشجرة و أما صلاة المغرب فإنها الساعة التى تاب الله فيها على آدم ، و أما صلاة العشاء فإنها الصلاة التى صلاها المرسلون ، و أما صلاة الفجر فإن الشمس اذا طلعت تطلع بين قرنى الشيطان ، و يسجد لها كل كافر دون الله تعالى ، فقالوا له صدقت ، فما ثواب من صلى الظهر ، قال عليه الصلاة والسلام : أما صلاة الظهر فإنها الساعة التى تسجر فيها جهنم . فما من مؤمن يصلى هذه الصلاة إلا حرم الله عليه عذاب جهنم يوم القيامة . أما صلاة العصر فإنها الساعة التى أكل آدم فيها من الشجرة ، فما من مؤمن يصلى هذه الصلاة إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ثم قرأ هذه الأية (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) أما صلاة المغرب فإنها الساعة التى تاب الله فيها على آدم ، فما من مؤمن يصلى هذه الصلاة محتسباً ثم يسأل الله تعالى شيئا الا أعطاه إياه . وأما صلاة العتمة ، فإن القبر ظلمة ، و يوم القيامة ظلمة، فما من مؤمن قدم مشية فى ظلمة الليل إلى صلاة العشاء الا حرم الله عليه ظلمة النار و يعطى نور الجواز على الصراط .أما صلاة الفجر ، فما من مؤمن يصلى الفجر أربعين يوما فى جماعة إلا أعطاه الله تعالى براءة من النار و براءة من النفاق : قالوا صدقت و لم افترض الله على أمتك الصوم ثلاثين يوما ، وأفترض على الأمم أكثر من ذلك فقال عليه الصلاة والسلام ان آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة بقى فى جوفه مقدار ثلاثين يوما فافترض الجوع على ذريته ثلاثين يوما ويأكلون بالليل تفضلا من عند الله عز وجل على خلقه . قالوا صدقت

فاخبرنا ما ثواب ما صام من أمتك . قال : ما من عبد يصوم شهر رمضان محتسبا الا أعطاه الله تعالى ست خصال . أولاها يذيب لحم الجذام من جسده ، و الثانية يقربه من رحمته ، و الثالثة يعطيه خير الأعمال ، و الرابعة يؤمنه من الجوع و العطش يوم القيامة ، و الخامسة يهون عليه عذاب القبر ، والسادسة يعطيه الكرامات فى الجنة . قالوا صدقت. فأخبرنا ما فضلك على النبيين قال : ما من نبى الا دعا على أمته بالهلاك وانى اخترت لأمتى الشفاعة قالوا صدقت يا رسول الله نشهد أن لا إله إلا الله ، و أنك محمد رسول الله . و قال رسول الله ﷺ (الصلاة مرضاة لله تعالى ، و حب الملائكة و سنة الأنبياء ، و قدر المعرفة ، و أصل الإيمان ، و إجابة الدعاء و قبول الأعمال ، و بركة فى الرزق ، و سلاح على الأعداء و كراهية الشيطان و شفيع بين صاحبها و بين ملك الموت ، و سراج فى قبره ، و فراش تحت جنبه جواب مع منكر و نكير ، و مؤنس و زائر معه فى قبره الى يوم القيامة ، فاذا كان يوم القيامة كانت الصلاة ظلا فوقه ، و تاجا على رأسه و لسابا على بدنه ، و نوراً يسعى بين يديه ، و سترا بينه وبين النار . و حجة للمؤمن بين يدى الرب ، و ثقلا فى الموازين و جوازاً على الصراط ، و مفتاحا إلى الجنة لأن الصلاة تسبيح ، و تمجيد ، و تقديس ، و قراءة مترددة ، و لأن أفضل الأعمال كلها الصلاة لوقتها) و عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال (أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته ، فإن أتمها هون عليه الحساب ، وان كان انتقص منها شيئا قال الله عز وجل لملائكته : هل لعبدى من تطوع فأتم الفريضة من التطوع ، فان تم أجرى الأعمال على حسب ذلك

وقال رسول الله ﷺ (للمصلى ثلاث خصال ، تحف به الملائكة من قدميه عنان السماء ، و بسط البر من عنان السماء الى مفرق رأسه ، و ملك ينادى لو يعلم المصلى من يناجى ما انفتل) و قال رسول الله ﷺ (ما من بقعه يصلى فيها صلاة أو يذكر الله عليها إلا استبشرت بذلك الى منتهاها الى سبع أرضين و فخرت على من حولها من البقاع . و ما من عبد يضع نعليه على الأرض يريد الصلاة إلا ترحبت له الأرض .

النوافل

قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى (ما تقرب الى المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم ، و لا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به و بصره الذى يبصر به ، فبى يسمع وبى يبصر و قال عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى (بالفرائض نجا عبدى وبالنوافل تقرب الىّ عبدى) و قال عليه الصلاة والسلام (حسنوا نوافلكم فيما تكمل فرائضكم) و فى المرفوع (النافلة هدية المؤمن الى ربه فليحسن أحدكم هديته و ليطيبها . لتكون الهدية سببا فى المحبة . ولذا قال عليه الصلاة والسلام تهادوا تحابوا) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال (قال رسول الله ﷺ (قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن . وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن ، وكان يقرأهما فى ركعتى الفجر . وقال هاتان الركعتان فيهما رغب الدر) وقال عليه الصلاة والسلام (ما من مؤمن يصلى ركعتى الفجر يقرأ فى الأولى بفاتحة الكتاب مرة ، وقال يا أيها الكافرون مرة ، وفى الثانية بفاتحة الكتاب مرة ، وقل هو الله أحد ثلاث مرات فكأنما تصدق بملئ الدنيا ذهبا)

وقال رسول الله ﷺ (من صلى أربع ركعات قبل الظهر يقرأ فى كل ركعة بأم القرآن و آية الكرسى وكل الله به ثلاثين ملكا يحفظونه و قال رسول الله ﷺ (من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر و أربع بعدها حرمه الله على النار) و عن أبى الدرداء أنه قال (من صلى أربع ركعات قبل العصر يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب و سورة العصر حرم الله لحمه على النار)

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ " نعم السورتان يقرأ بهما فى الركعتين قبل الفجر و الركعتين بعد المغرب قل يا أيها الكافرون و قل هو الله أحد " و عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال (من صلى بعد العشاء أربع ركعات أعطاه الله ثواب من أحيا ليلة القدر) و قال رسول الله ﷺ " من ثابر على اثنى عشرة ركعة من السنة بنى الله له بيتا فى الجنة " وقال رسول الله ﷺ " نوروا بيوتكم بذكر الله و تلاوة القرآن و لا تتخذوها قبوراً كما اتخذها اليهود والنصارى " وقال رسول الله ﷺ " رحم الله امرأ صلى قبيل العصر أربعا " وقال رسول الله ﷺ " من حافظ على أربع ركعات قبل العصر بنى الله له بيتا فى الجنة " وقال رسول الله ﷺ يقول الله تعالى " يا ابن آدم إضمن لى ركعتين من أول النهار أكفك آخره " وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى " يا ابن آدم لا تعجزنى من أربع ركعات فى أول النهار أكفك آخره " والمعنى لا تسوف عن صلاة أربع ركعات من أول النهار أكفك آخر النهار من كل شئ من الهموم والغموم . و قال صلى الله عليه وسلم " من صلى الفجر فى جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له أجر حجة وعمرة تامة تامة "

وعن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ " يا أبا ذر ، ان صليت الضحى ركعتين لم تكتب من الغافلين . وإن صليت أربعا تكتب من المحسنين ، وإن صليت ستاً لم يتبعك يومئذ ذنب ، وان صليت ثمانيا تكتب من العابدين ، وان صليت عشراً أو اثنتى عشرة بنى الله تعالى بيتاً فى الجنة " وقال رسول الله ﷺ من صلى الضحى اثنتى عشرة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى مرة والصمدية ثلاث مرات نزل من السماء سبعون ألف ملك يكتبون له الحسنات الى أن ينفخ فى الصور ، فاذا كان يوم القيامة أتته الملائكة مع كل ملك حلة فيقومون على قبره ويقولون له صاحب القبر " قم فانك من الآمنين وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : " من صلى ست ركعات بعد صلاة المغرب لم يتكلم بينهن بسوء عدلن له بعبادة اثنتى عشرة سنة " وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال " من صلى بين المغرب والعشاء عشرين ركعة يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد مرة حفظ فى أهله وماله وولده ونفسه ودينه ودنياه وآخرته وجيرانه وداره والدويرات التى حوله ويهون الله عليه سكرات الموت وأهوال القيامة ويمر على الصراط كالبرق ويدخل الجنة فى زمرة الصديقين " وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال " ينزل ربنا عز وجل كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل يقول : من يدعونى فأستجيب له . ومن يسألنى فاعطيه ، من يستغفر لى فاغفر له " وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ان الله ينزل فى كل لية جمعة من أول الليل الى آخره الى سماء الدنيا وفى سائر الليالى من الثلث الأخير من الليل فيأمر ملكا ينادى : هل من سائل فاعطيه ، هل من تائب فأتوب عليه ، هل من مستغفر فاغفر له . يا طالب الخير أقبل ويا طالب الشر أقصر "

وروى عن النبى ﷺ أنه قال " من بات طاهراً فى شعار طاهر - أى لباس طاهر - بات معه ملك فى شعاره ، فلا يستيقظ ساعة من الليل الا قال له الملك : اللهم اغفر لعبدك فلان فانه بات طاهرا " وروى ثوبان عن رسول الله ﷺ أنه قال " استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن " فينبغى للمؤمن أن يكون النهار كله على وضوء وينام الليل على وضوء فانه اذا فعل ذلك يحبه الله وتحبه الحفظة ويكون فى أمان الله تعالى دائما . والله أعلم .

الآداب

قال ﷺ يقول الله تبارك وتعالى ، ما تقرب الى المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم . و لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، و بصره الذى يبصر به . و لسانه الذى ينطق به ، و يده الذى يبطش بها و رجله التى يمشى بها " و لن تصل الى هذه المرتبة الا بالمراقبة أى مراقبة قلبك و جوارحك فى لحظات و أنفاسك من حين تصبح الى حين تمسى . و اعلم أن الله مطلع على ضميرك و مشرف على ظاهرك و باطنك و هو يعلم خائنة الأعين و ما تخفى الصدور ، و يعلم السر و أخفى فاذا قمت من النوم فقل : أشهد أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمداً رسول الله ، و تقرأ آية الكرسى سبع عشرة مرة .و اذا لبست ثيابك فاجعل نيتك ستر عورتك ، و لا يكن قصدك مراءات الخلق فتخسر .

و اذا دخلت بيت الخلاء فقدم فى الدخول رجلك اليسرى و فى الخروج رجلك اليمنى و لا تدخل عارى الرأس و لا حافى القدمين ، و قل عند الدخول . أعوذ بك من الخبث و الخبائث . و عند الخروج تقول : غفرانك الحمد لله الذى أذهب عنى الأذى و عافانى ،

و اتكئ فى جلوسك على الرجل اليسرى و لا تبل قائما إلا عند ضرورة و استنج باليد اليسرى ، و اذا توضأت فلا تترك السواك فانه مطهرة للفم و مرضاة للرب و مسخطة للشيطان . و قال رسول الله ﷺ " لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة " و عن وائلة بن الأسقع رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " أمرت بالسواك حتى خشيت أن يكتب على " رواه أحمد .

ثم اجلس للوضوء مستقبل القبلة. و قل رب أعوذ بك من همزات الشيطان و أعوذ بك رب أن يحضرون . و اغسل يديك ثلاثا و قل اللهم إنى أسألك اليمن و البركة . ثم انو رفع الحدث الأصغر أو استباحة الصلاة ثم تمضمض ثلاثا و قل اللهم أعنى على كثرة الذكر ثم استنشق ثلاثا و قل اللهم أرحنى رائحة الجنة و أنت عنى راض ثم اغسل وجهك و قل اللهم بيض وجهى فى الجنة بنورك ثم اغسل يدك اليمنى و قل اللهم اعطنى كتابى بيميني ، و قل عند اليسرى اللهم لا تعطنى كتابى بشمالى او من وراء ظهرى ثم امسح رأسك و قل اللهم ظللنى بظل عرشك ، اللهم حرم شعرى و جسمى على النار ، ثم امسح أذنيك بماء جديد وقل اللهم اسمعنى منادى الجنة فى الجنة ثم امسح رقبتك و قل اللهم فك رقبتى من النار ،ثم اغسل رجلك اليمنى ثم اليسرى مبتدئا بخنصر اليمنى حتى تختم بخنصر

اليسرى وقل فى اليمنى اللهم ثبت قدمى اليمين على صراطك المستقيم ، وفى الشمال اللهم ثبت قدمى الشمال على صراط الرحمن فاذا فرغت

فقل : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، و أشهد أن محمدا عبده و رسوله ، فقد روى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول " من توضأ فغسل يديه ثم مضمض ثلاثا واستنشق ثلاثاً وغسل وجهه ثلاثاً ويديه الى الرفقين ثلاثاً ومسح رأسه ثم غسل رجليه ثم لم يتكلم حتى يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله غفر له ما بين الوضوءين " وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال ، ما منكم من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يرفع طرفه الى السماء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء، وتقرأ انا انزلناه فى ليلة القدر ثلاث مرات ، ثم ان شئت قلت . أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أ لا إله إلا أنت علمت سوءاً وظلمت نفسى أستغفرك واتوب إليك فاغفر لى وتب على إنك التواب الرحيم اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من عبادك الصالحين واجعلنى صبوراً شكوراً واجعلنى أذكرك ذكراً كثيراً وأسبحك بكرة وأصيلا . فمن قال هذه الدعوات فى وضوئه خرجت خطاياه من جميع اعضائه وختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش .

فاذا أصابتك جنابة

فاغسل يديد ثلاثا و ازل ما على بدنك من قذر و توضأ كما سبق وضوءك للصلاة مع جميع الدعوات وآخر غسل رجليك ثم صب الماء على رأسك ثلاثا وأنت ناو رفع الحدث من الجنابة ثم على شقك الأيمن ثم الأيسر وأدلك جميع جسدك وخلل شعر رأسك ولحيتك وجميع ما فى بدنك من شعر فان عجزت عن استعمال الماء لعذر شرعى فانتظر حتى يدخل وقت الفريضة ، ثم اقصد صعيدا طيبا و هو كل ما صعد على وجه الأرض من تراب أو رمل أو حجر فاضرب عليه بكفيك ضاماً بين أصابعك و أنو استباحة للصلاة و امسح بها على وجهك مرة واحدة ثم انزع خاتمك و اضرب ضربة ثانية مفرقا بين اصاعبك وامسح بهما يديك مع مرفيك وصل به فرضا واحداً وما شئت بعده من النوافل . فاذا اردت فرضا ثانيا فتيمم ثانيا . وان أردت ركعتى الفجر فتيمم لهما ثم تيمم ثانيا للصبح ولكن إن كنت تريد الصلاة فى المسجد حين تقام الصلاة ، ثم بعد الوضوء أو الغسل اخرج إلى المسجد إن اردت ذلك لأجل صلاة الصبح فى جماعة فانها تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة . وكذلك باقى الصلوات إن امكنك و قل فى مشيك الاستغفار ثلاثا ثم آية الكرسى و الصمدية و المعوذتين وإن أردت فقل بسم الله على قلبى حتى يروى . بسم الله على ركبى حتى تقوى . بسم الله على الأرض حتى تطوى ثلاث مرات ثم تصلى على الرسول ﷺ عشر مرات تطوى لك الأرض ثم ادخل المسجد برجلك اليمين و قل اللهم صلى على محمد وآل محمد و صحبه وسلم . اللهم افتح لى أبواب رحتمك .

او فقل بعد الصلاة على النبى ﷺ اعوذ بالله العظيم بوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم و صل ركعتين تحية المسجد

لما روى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ " اذا دخل أحدكم المسجد فليصلى على النبى ﷺ ، وليقل اللهم افتح لى أبواب رحمتك ، و اذا خرج فليسلم على النبى ﷺ و ليقل اللهم اعصمنى من الشيطان الرجيم "

و لما روى عن عبدالله بن عمر بن العاص عن رسول الله ﷺ انه كان اذا دخل المسجد قال (أعوذ بالله العظيم بوجهه الكريم و سلطانه القديم من الشيطان الرجيم)

و لما روى عن مسلم عن أبى قتادة أن رسول الله ﷺ قال (اذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس و اذ لم يكن متوضئاً او كان الوقت لا تحل فيه النافلة فيكفيه الباقيات الصالحات أربعاً و هى سبحان الله و لا إله إلا الله و الله اكبر و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم ،

ثم بعد صلاة الفجر داوم على أورادك كالمسبعات و الصلوات لسيدنا الدردير رضى الله عنه و المنظومة له أيضا و ورد الستار و الصلاة الكمالية مائة مرة . أى تكون فى عبادة حتى طلوع الشمس ثم بعد حل النافلة صل صلاة الضحى و قد سبق ذكر ذلك فى النوافل : ثم اشتغل إما بعلم او تحصيل شئ لعيالك او غير ذلك مما تصلح به شأنك . ثم إذا جاء فرض الظهر و سمعت المؤذن فقل مثل ما يقول إلا فى الحيعلتين فقل : لا حول و لا قوة إلا بالله ، و فى الإقامة عندما يقول قد قامت الصلاة . فقل أقامها الله أدامها .

و صل قبل الظهر أربعا و بعده أربعا و كذلك قبل العصر وا شتغل بعد العصر بالاستغفار و سياتى إن شاء الله فضائله . و كذلك فى المغرب تذهب الى المسجد و تشتغل بالصلاة على الرسول ﷺ و إن امكنك . ان تحي بين العشاءين فقد ورد فيهما الفضل الكثير ،

فاذا رجعت الى المنزل فقل السلام عليكم فان لم يكن احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، واقرأ آية الكرسى والصمدية والمعوذتين .

واذا اكلت فقل بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الأرض و لا فى السماء و هو السميع العليم ثلاث مرات . فاذا فرغت فقل الحمد لله رب العالمين ، و تقرأ الصمدية و المعوذتين ثلاثاً ثلاثاً .

و اذا شربت فقل بسم الله وبعده فقل الحمد لله وهكذا ثلاث مرات . وان كنت واقفا فاجلس او حرك اصبعك الإبهام من الرجل اليمنى . ولا تلبس الحرير اصلا ولا الذهب صرفا .

واذا اكلت الفجل فقل بسم الله اللهم صلى على سيدنا محمد اللهم صل عليه اربع عشرة مرة

واذا رأيت الهلال فقل الحمد لله الذى خلقنى وخلقك وقدرك منازل وجعلك آية للعالمين ثلاث مرات ثم صل على الرسول ﷺ عشر مرات ،

واذا جلست او قمت فقل يا الله يا حى يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام ، واذا دخلت على الحاكم فقل مثل ذلك

واذا زرت ولياً فى الضريح فاقرأ له الصمدية احدى عشرة مرة ثم الفاتحة ، واذا زرت المقابر فاقرأ الصمدية احدى عشرة مرة ثم الفاتحة وقل السلام عليكم اسكنكم الله الجنة ورحمكم الرحمة الواسعة .

واذا جلست على الطريق فغض الطرف واعلم ان الله مطلع عليك يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .ولا تجلس وتضع رجلاً على رجل لأنك بين يدى احكم الحاكمين . فهو لا يتركك طرفة عين ،

واذا أويت الى فراشك فنم على جنبك الأيمن وقل أشهد أ لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله ثلاث مرات . ثم تقول : بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات ثم آية الكرسى والصمدية والمعوذتين الكل ثلاثا . ثم تقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم خمس مرات بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ خمس مرات اللهم بحق محمد أرنى وجه محمد ﷺ حالا ومآ لا خمس مرات ثم تصلى بصيغة النور الذاتى التى فى صلوات الشيخ الدردير رضى الله عنه يمن الله عليك برؤية حبيبه ﷺ . فاذا لازمت هذه الآداب فانت فى حصن : ان عبادى ليس لك عليهم سلطان

واذا لبست الحذاء فابدأ باليمين . واذا خلعته فابدأ باليسار ، ولا تضف امرأة الجار ولا تسب البهيمة أو الدهر ولا تدع على من ظلمك . وأحسن ظنك بالله دائما ، . فانه يقول جل شأنه " أنا عند ظن عبدى بى " وارض بقضاء الله تعالى وقدره وسلم له فى كل الأمور . واصبر على ما أصابك ، ولتكن حسن الخلق متواضعا خائفا من الله جل شأنه راجيا مخلصا فى العمل

مبتعدا عن الكبر و العجب و الرياء و حب المحمدة و السمعة و حب الرياسة و الجاه و التفاخر و البخل و الحقد و الحسد و عن كل الافعال الذميمة المغضبة لرب العباد ، و من يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب

واعلم ان الصلاة هى الصلة بين العبد وربه وهى المعراج الى رب العباد اذا علمت فلتسكن صلاتك بخشوع و خضوع القلب مطرقا الى الارض عاقلا ما تقول من الفاتحة و السورة قال ﷺ " ان العبد ليصلى الصلاة فلا يكتب له منها سدسها ولا عشرها و انما يكتب للعبد من صلاته بقدر ما عقل منها و اعلم أن الجمعة عيد المؤمنين و هو يوم شريف خص الله عز وجل به هذه الأمة و فيه ساعة مبهمة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها حاجة إلا اعطاه إياها . فاستعد لها من يوم الخميس بتنظيف الثياب و بكثرة التسبيح و الاستغفار عشية الخميس فان فيها ساعة توازى فى الفضل ساعة يوم الجمعة فاذا طلع عليك الصبح فاغتسل ثم تزين بالثياب الأبيض واستعمل الطيب و نظف بدنك بالحلق و القص و التقليم و السواك ثم بكر الى الجامع ويجب ان تستمع الى الخطبة و لا تتكلم مع احد إذ الذى يتكلم والإمام يخطب لا جمعة له فاذا انتهيت من الجمعة فقل سبع مرات الفاتحة والإخلاص سبع مرات والمعوذتين سبع مرات ، فان ذلك يعصمك من الجمعة الى الجمعة الأخرى ، ويكون حرزاً لك من الشيطان وقد ذكرت لك الكثير من الآداب.

والآن أحدثك عن أهم الآداب و هو أدبك مع خالقك الذى أحياك و أوجدك فى هذا العالم ، فيجب عليك ان تكون مطرق الرأس حياء من الله جل شأنه غاض الطرف ، مديم الصمت ساكن الجوارح ، مبادراً لأوامره مجتنباً نهيه ، و لا تعترض على شئ ابداً دائم الذكر ملازم الفكر ، و أن تفضل الحق على الباطل ، و الإياس عن الخلق والخضوع تحت الهيبة والإنكسار تحت الحياء و السقوط عن حيل الكسب ثقة بالضمان ، و التوكل على فضل الله معرفة بحسن الاختيار . هذا مع خالقك :

أما ما يجب عليك فى حق نفسك فنسوق لك طرفا منه : اذا دخلت زائراً فلا تجلس متلفتاً للجدران ، أو تمعن النظر لما فى الغرفة ، و أحفظ نقسك من تشبيك أصابعك و العبث بلحيتك و خاتمك و تخليل أسنانك و إدخال اصبعك في أنفك و كثرة بصاقك وتنخمك و طرد الذباب عن وجهك و كثرة التمطى و التثاؤب فى وجوه الناس و فى الصلاة و غيرها . وابتعد عن مجالس الضحك والسخرية ، و لا تصنع ما تصنع المرأة فى التزين ، و لا تتبذل تبذل العبد ، و لا تلح فى الحاجات ، و لا تشجع أحداً على ظلم ،و لا تجعل مالك أكرم من عرضك .

الفصل الثالث

فضائل الصلاة علي الرسول ﷺ

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : يا رسول الله أفلا أجعل ثلث دعائى الصلاة غليك قال فإن زدت فهو أفضل . قال أجعل الثلثين قال فإن زدت فهو أفضل ، قال بأبى أنت و أمى يا رسول الله أجعل دعائى كله الصلاة عليك قال اذن يكفيك الله أمرك من دنياك و آخرتك

و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم من صلى على صلت عليه الملائكة ، و من صلت عليه الملائكة صلى الله عليه و من صلى الله عليه لم يبق شئ فى السموات السبع و الأرضين السبع و البحار السبع و الاشجار و النبات و الطيور و السباع و الأنعام إلا صلى عليه .

و قال ﷺ من صلى على كل يوم مائة مرة قضى الله له مائة حاجة سبعين منها فى الآخرة وثلاثين فى الدنيا .

وعن النبى ﷺ انه قال " من اكثر الصلاة على أغناه الله تعالى غنى لا فقر بعده "

وعن النبى ﷺ انه قال " من صلى على كل يوم خمسمائة مرة لم يفتقر أبدا "

وقال عليه الصلاة والسلام " أكثروا من الصلاة عليه فانها تحل العقد وتفرج القلوب "

قال ﷺ (انا حبيب الله و المصلى على حبيبى ؛ فمن أراد أن يكون حبيبا للحبيب فليكثر من الصلاة على الحبيب)

وقال عليه الصلاة والسلام (من عسرت عليه حاجته وفى رواية حاجة فليكثر من الصلاة على فانها تكشف الهموم ، والغموم ، والكروب ، و تكثر الأرزاق و تقضى الحوائج)

و عن أبى بردة بن نيار رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من صلى على من أمتى صلاة مخلصاً من قلبه صلى عليه بها عشر صلوات ، و رفعه بها عشر درجات ، و كتب له بها عشر حسنات ، و محى عنه عشر سيئات)

و عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما انه قال (من صلى على النبى ﷺ واحدة صلى الله عليه وملائكته سبعين صلاة) وعن أبى مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال (إن لله ملائكة سياحين يبلغوننى عن أمتى السلام) وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : (ما من أحد يسلم على إلا رد الله الى روحى حتى أرد عليه السلام)

وعن عمار بن ياسر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (إن الله تبارك وتعالى ملكا أعطاه أسماء الخلائق فهو قائم على قبرى اذا مت فليس أحد يصلى على صلاة إلا قال يا محمد صلى عليك فلان ابن فلان قال فيصلى الرب تبارك وتعالى على ذلك الرجل بكل واحدة عشرا) وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ(اكثروا على من الصلاة فى يوم الجمعة ، فان صلاة أمتى تعرض على فى كل يوم جمعة ، فمن كان اكثرهم على صلاة كان اقربهم منى منزلة)

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال (الصلاة على النبى صلى الله عليه و سلم أمحق للذنوب من الماء البارد للنار ، و السلام عليه أفضل من عتق الرقاب " و فى الحديث عنه ﷺ " رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على " و عن حسين رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال (البخيل من ذكرت عنده فلم يصلى على).

و فضائل الصلاة على النبى ﷺ أكثر من أن تحصى ، وفيما تقدم من الأحاديث والآثار نبذة تكفى العاقل اللبيب وتثير همة المريد الصادق إلى ملازمة الصلاة على النبى ﷺ ، و لو لم يكن لها من الفضائل سوى ما تقدم ، و هى مع ذلك تكثر الأرزاق و البركات وت فضى الحوائج و تكشف الهموم ، و الغموم ، و الكروب كلها بالمشاهدة و التجربة بين السلف و الخلف رضوان الله عليهم أجمعين .

خلق رسول الله

ﷺ

قد وجدنا الواحد من الناس يشرف فى كل عصر بواحدة من خصال الكمال و الجلال أو اثنتين إن اتفقنا له إما من نسب ، أو جمال . أو قوة ، أو حلم ، أو شجاعة ، أو سماحة حتى يعظم قدره و تضرب باسمه الأمثال ويتكون له بذلك الوصف فى القلوب مكان و عظمة مما تقادمت عليها الأعوام ، وتعاقبت عليه الأيام ، فكيف شرف النبى ﷺ و قد اكتملت فيه كل الخصال إلا ما لا يأخذه عبد و لا يعبر عنه مقال ، فقد كان جميعها خلق نبينا صلى الله عليه و سلم على الإنتهاء فى كمالها و الاعتدال الى غايتها حتى اثنى الله فقال تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم) قالت عائشة رضى الله عنها (كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه) و قال صلى الله عليه و سلم (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)

روى أنه دخل نفر على زيد بن ثابت فقال له حدثنا أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ماذا أحدثكم ، كنت جاره فكان إذا نزل عليه الوحى بعث الي فكتبته له ، فكنا اذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا واذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا ، واذا ذكر الطعام ذكره معنا ، فكل هذا احدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن عمرو بن العاص قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل بوجهه وحديثه على أشر القوم يتألفهم بذلك فكان يقبل بوجهه على حتى ظننت انى خير القوم ، فقلت يا رسول الله أنا خير أم أبو بكر قال أبو بكر ،

فقلت يا رسول الله أنا خير أم عمر فقال عمر فقلت يا رسول الله أنا خير أم عثمان قال عثمان فلما سألت رسول الله ﷺ فصدقنى فلو وودت انى لم أكن سألته .

و عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى أف قط و ما قال لشئ صلاته لم صنعته ولا لشئ تركته لم تركته

وكان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا ولا مسست خزاً و لا حريراً و لا شيئا كان ألين من كف رسول الله ﷺ ، و لا شمت مسكا قط ، و لا عطرا كان أطيب من عرق النبى ﷺ

وعنه أيضا أن النبى ﷺ كان عنده رجل به أثر صفرة قال و كان ﷺ لا يكاد يواجه احد بشئ يكرهه فلما قام قال للقوم لو قلتم له يدع هذه الصفرة

وعن عائشة انها قالت (لم يكن رسول الله ﷺ فاحشا ولا متفحشا ولا صاخباً فى الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح)

وعنها ايضا قالت " ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئا قط إلا ان يجاهد فى سبيل الله ، و لا ضرب خادما و لا إمرأة "

و عنها ايضا قالت " ما رأيت رسول الله ﷺ ينتصر من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله شئ فاذا انتهك من محارم الله شئ كان اشد الناس فى ذلك غضبا وما خير بين أمرين إلا اختار ايسرهما ما لم يكن إثما "

و عنها أيضا قالت " استأذن رجل على رسول الله ﷺ و أنا عنده فقال ائذنوا له بئس اخو العشيرة او ابن العشيرة ، فلما دخل ألان له الكلام قلت يا رسول قلت الذى قلت ثم ألنت له الكلام قال أى عائشة إن شر الناس من تركه أو ودعه اتقاء فحشة "

و عن الحسن بن على قال قال الحسين سألت أبى عن سيرة النبى صلى الله عليه وسلم فى جلسائه فقال (كان رسول الله ﷺ دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ليس بفظ ، و لا غليظ، و لا صخاب و لا فحاش ، و لا عياب ،

يتغافل عما لا يشتهى و لا يؤيس منه راجيه ، قد ترك نفسه من ثلاث : المراء ، و الإكثار ، و ما لا يعنيه ،

و ترك الناس من ثلاث : كان لا يذم أحداً ، و لا يعيبه ، و لا يطلب عورته ، و لا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه و إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير فاذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده

، ومن تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ ، حديثهم عنده حديث اولهم يضحك مما يضحكون منه ، و يصبر على جفوة الغريم فى تقاضيه ، و الأعرابى فى منطقه ومسألته .

و يقول اذا رأيتم طالب حاجة فأوفدوه ، و لا يقبل الثناء إلا من مكافئ و لا يقطلع عى أحد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهى أو قيام . و ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال : لا

و عن ابن عباس رضى الله عنهما قال " كان النبى ﷺ أجود الناس بالخير ، و كان أجود ما يكون فى رمضان يحين يلقاه جبريل ، و كان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة فى رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبى ﷺ القرآن ، فاذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة " و عن أنس ابن مالك رضى الله تعالى عنه قال (كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد)

و عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أن رجل جاء الى النبى صلى الله عليه و سلم فسأله ان يعطيه فقال النبى ﷺ ما عندى شئ و لكن ابتع على ، فاذا جاءنا شئ قضيناه ، فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه ، فكره صلى الله عليه و سلم ذلك ، فقال رجل من الأنصار يا رسول الله انفق و لا تخف من ذى العرش إقلالا ؛ فتبسم ﷺ و عرف البشر فى وجهه وقال بهذا امرت .

وذكر عن معوذ بن عفراء قال (أتيت النبى ﷺ بقناع من رطب - يريد طبقا - وأجر زغب –يريد قثا فأعطانى ملئ كفه حليا وذهبا) وعن عائشة رضى الله عنها قالت (كان النبى ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها)

وروى عن عمر رضى الله عنه انه قال فى بعض كلامه (بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال : رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا . ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا عن آخرنا ؛ فقد وطئ ظهرك ؛ وادمى وجهك ، وكسرت رباعيتك ، وابيت ان تقول إلا خيراً ؛ فقلت اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون)

قال القاضى أبو الفضل و فقه الله (انظر ما فى هذا القول من جماع الفضل و درجات الإحسان ، و حسن الخلق ، و كرم النفس ، و غاية الصبر و الحلم إذ لم يقتصر ﷺ على السكوت عنهم حتى عفا عنهم ، ثم أشفق عليهم و رحمهم ، و دعا و شفع لهم فقال اغفر أو اهد . ثم أظهر سبب الشفقة و الرحمة بقوله لقومه ثم اعتذر عنهم فقال : فانهم لا يعلمون .

فضائل الاستغفار

قال الله تعالى (و استغفر لذنبك و للمؤمنين و المؤمنات)و قال (فسبح بحمد ربك و استغفره إنه كان توابا)

و قال(ربنا اغفر لى و لوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب).

وقال ﷺ (من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة) –أى فى مقابل استغفاره لهم-

وعن بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ (ما أصبحت غدوة إلا استغفرت الله مائة مرة)

و عن أبى هريرة رضى الله عنه قال أن النبى ﷺ جمع الناس فقال (يا أيها الناس توبوا إلى الله فإنى أتوب فى اليوم مائة مرة –

و اعلم أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا يكون استغفارهم عن ذنب أتوه كذنوبنا ، و إنما هو عن أمور تدق عن عقولنا لأنه لا ذوق لنا بمقامهم ، فلا يجوز حمل ذنوبهم على ما نتعقله نحن من الذنب)

و قال ﷺ (لا كبيرة مع الاستغفار ، ولا صغيرة مع الاصرار)

وعن على بن ابى طالب عن ابى بكر رضى الله تعالى عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلى ركعتين نافلة ثم يستغفر الله إلا غفر له ثم قرأ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا انفسهم . الآية .

وقال ﷺ " لله أفرح بتوبة عبدة المؤمن من الضال الواجد ، ومن الظمآن الوارد ،ومن العقيم الوالد ، ومن تاب إلى الله توبة نصوحاً نسّى حافظيه وبقاع أرضه خطاياه وذنوبه وقال ﷺ (ما من بنى آدم إلا له صحيفتان . صحيفة يكتب فيها عمله بالنهار ، وصحيفة يكتب فيها عمله بالليل. ثم تطوى الصحيفتان فان كان فيهما استغفار ولو مرة واحدة تلألأ نوراً ، وإن لم يكن فيها استغفار طويتا سوداوين مظلمتين .

ولهذا قال رسول الله ﷺ (من لم يستغفر الله تعالى فى كل يوم فقد ظلم نفسه –أى صباحا ومساء –وقال رسول الله ﷺ (من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ، ومن كل هم فرجا . ورزقه من حيث لا يحتسب) رواه ابو داود عن ابن عباس .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (من استغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه . غفرت ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف وعن الحسن أن رجلا شكا إليه الجدب فقال صلى الله عليه و سلم استغفر الله . وشكا اليه آخر الفقر . وآخر قلة النسل . وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار . فقال له الربيع بن صبيح أتاك رجال يشكون ابوابا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلى قول الله تعالى (ى استغفروا ربكم انه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا) .

فضائل الذكر

قال رسول الله ﷺ " أن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد وأن جلاءها ذكر الله وتلاوة القرآن "

وينبغى للذاكر عند ابتدائه بلفظ الجلالة أن يلاحظ كونها آية من كتاب الله تعالى فإنه يثاب حينئذ ، وان لم يلاحظ المعنى فى كل مرة ،

والذكر انواعه كثيرة وكلها توجب التفكير وتجلب الأسرار والأنوار ،فأول ما يكون باللسان ، ثم بالجنان ، ثم بالسر ثم بالجملة و الأركان ،

ثم ترتقى من عالم شهادتك إلى عالم غيبك فترى الكل ذاكرا بذكرك ، فيذكر معك عالم الدنيا ثم عالم الملكوت ، ثم عالم فعالم حتى الأماكن والأزمان .

وفي الخبر " أنا جليس من ذكرنى " فمن ذكره بلسانه كان الحق جليس لسانه ،ومن ذكره بجنانه كان الحق جليس جنانه ، وهكذا الجهرى منه مقدمة السرى ،والسرى لحظ وشهود .

قال تعالى " يا أيها الذين آمنوا أذكروا الله ذكراً كثيراً و سبحوه بكرة و أصيلا " المؤمن يذكر الله بكله لأنه يذكر الله بقلبه فتسكن جميع جوارحه إلا ذكره فلا يبقى منه عضو إلا و هو ذاكر فالمعنى ، واذا امتدت يده إلى شئ ذكر الله فكف يده عما نهى الله تعالى عنه ، و إذا سعت قدمه إلى شئ ذكر الله فوقف عن السعى إلا فيما يرضى الله تعالى .و إذا طمحت عينه إلى شئ ذكر الله فغض بصره عن محارم الله ، وكذلك سمعه ولسانه وجوارحه مصونة بمراقبة الله تعالى ، و مراعاة أمر الله تعالى .و الحياء من نظر الله ، فهذا هو

الذكر الكثير . والذكر القليل الذين يذكرون رئاء الناس و ليس فى قلوبهم من الذكر شئ .

و الذكر المطلوب ذكر القلب و إنما اللسان طريق إليه ، فمن لازم ذكر الله بلسانه مخلصاً لله تعالى وصلت بركة الذكر إلى قلبه

وعن النبى ﷺ أنه قال : يقول الله تعالى " انا عند ظن عبدى بى و انا معه اذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى و إن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم ، و إن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا ، و إن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا ، و إذا أتانى يمشى أتيته هرولة "

و قال رسول الله ﷺ (إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلاء يبتغون مجالس الذكر ، فإذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معه وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء ، قال فيسألهم الله عز و جل ، و هو أعلم ، من أين جئتم ، فيقولون جئنا من عند عبادك فى الأرض يسبحونك و يكبرونك و يهللونك و يحمدونك و يسألونك . قال فما يسألونى ، قالوا يسألونك جنتك قال و هل رأوا جنتى ، قالوا لا يا رب ، قال وكيف لو رأوا جنتى ، قالوا يستجيرونك قال و مم يستجيرونى ، قالوا من نارك يارب ؛ قال وهل رأوا نارى ،قالوا لا يارب ، قال فكيف لو رأوا نارى ، قالوا يستغفرونك ، قال فيقول قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا ، وأجرتهم مما أستجاروا ، قال يقولون رب فيهم فلان عبد خطاء إنما مر جلس معهم ، قال فيقول وله غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم .

وقال ﷺ : (يا أيها الناس : إن لله سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر فى الأرض فارتعوا فى رياض الجنة ، قالوا و أين رياض الجنة يا

رسول الله . قال مجالس الذكر ، فاغدوا او روحوا فى ذكر الله وذكروه أنفسكم ؛ من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده ، فإن الله ينزل العبد منه حيث أنزله فى نفسه .

ويروى أن فى الجنة ملائكة يغرسون الأشجار للذاكرين فإذا ترك الذاكر وقف الملك ويقول ترك صاحبى الذكر . وفى الحديث يقول الله تعالى انا مع عبدى ما ذكرنى أو تحرك بذكرى شفتاه ، أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته وكنت جليسه وأنيسه . وروى أن بيوت الذاكرين لها نور يراه الملائكة بقدر ما فيها من الذكر كما ترى النجوم فى السماء .

مناجاة الحق سبحانه وتعالى

اللهم ياذا الجلال و الإكرام يا عزيز لا تحيط بجلاله الاوهام يامن لاغنى لشئ عنه ، يا من لا بد لكل شئ منه ، يا من رزق كل شئ عليه ، ومصير كل شئ إليه ، يا من يعطى من لا يسأله ؛ ويجود على من لا يؤمله ، ها نحن عبيدك الخاضعون لهيبتك ، المتذللون لعزك وعظمتك ، الراجون جميل رحمتك ، أمرتنا ففرطنا ولم تقطع عنا نعمتك ، ونهيتنا فعصينا ولم تقطع عنا كرمك ، وظلمنا أنفسنا مع فقرنا إليك فلم تقطعنا مع غناك عنا يا كريم . اللهم ردنا إليك بفضلك ورحمتك ، ووفقنا للإقبال عليك والاشتغال بخدمتك وأغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تم بحمد الله إعادة كتابته في نهار يوم الثالث من ذي القعدة لعام 1444 الموافق الثالث و العشرين من مايو لعام 2023 و أرجو من الله القبول و الحمد لله رب العالمين .

الفهـــــرس

مقدمة لفضيلة الشيخ محمد أحمد الطاهر

1 – نبذة عن الطريق 5

2 – حقيقة الطريق و صفات المريدين 10

3– لا رهبانية في التصوف 19

4 – الرد على منكري الطريق 22

5 – هل يجب التصوف و سلوك الطريق على كل أحد 25

6 – التصوف الحقيقي و سلوك الطريق 27

7 – الحاجة إلى الشيخ المرشد 32

8 – الإستقامة على الطريق 33

9 – خاصية الطريق و علامة أهلها 37

تقريظ بقلم الشيخ محمد سليمان و الشيخ محمد الطاهر 38

مقدمة كتاب نور الهداية للعارف بالله فضيلة الشيخ محمد الرملي 40

1 – النيات 41

2 – الفكر 42

3 – القلب 43

4 – المحبة 44

5 – التقوى 45

6 – الخوف 47

7 – الرجاء 47

8 – التوبة 49

9 – الموت 50

10 – الوعيد 50

11 – الوعد 52

12 – الفرائض (الصلاة) 57

13 – النوافل 60

14 – الآداب 63

15 – فضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم 72

16 – خلق رسول الله صلى الله عليه و سلم 74

17 – فضائل الإستغفار 78

18 – فضائل الذكر 80

19 – مناجاة 83